وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي بالاغواط
كلية العلوم الإنسانية والإسلامية والحضارة
قسم التاريخ

بعنوان

الثورات الداخلية في المغرب الاقصى في نهاية الحكم السعدي خلال القرن السابع عشر

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات ماستر أكاديمي في ميدان العلوم الإنسانية

تخصص:تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

من إعداد :

- رزيقة قاسمي
- منال قيرون

تحت إشراف الأستاذ

-علاق محمد

لجنة المناقشة

الدكتور	.....جعيرن معمر.....	رئيسـا
الدكتور	.....علاق محمد.....	مشرفا ومقررا
الدكتور	.....بوقرين عيسى.....	مناقشـا

دفعـ 2017-2018 ـــة

إهـــداء

إلى من برحمته وسعت السموات والأرض، إلى الملك القدوس إلى السراج الوهاب المبعوث رحمة للأنام، الأمين صلى الله عليه وسلم

إلى من فقدته في مواجهة الصعاب ولم تمهله الدنيا لارتوي من حنانه أبي العزيز رحمه الله .

إلى التي عانت لأصل إلى ما انا فيه إلى التي ربت وضحت أمي الغالية حفظها الله .

إلى من قاسماني رحم أمي ويسري في عروقهم دمي إخوتي رعاهم الله. إلى البراعم عطاء الله، صلاح عيسى، ملك، عبد الوهاب، إهداء خاص إلى احمد الذي ساندني كثيرا ، والعزيزة حميدة.

إلى الزهرة اليافعة والفلة الناعمة إلى الإبتسامة البريئة إلى من قاسمتني أعباء إنجاز هذا العمل وسهرت عيناها لإتمامه إليك عزيزتي "رزيقة "

إلى جميع الأساتذة وزملائي في العمل .

منال

التشكرات

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف **علاق محمد** على مجهوداته وتوجهاته القيمة ونصائحه البناءة والمفيدة ونشكره على صبره وسماحته معنا طوال مدة هدا البحث ونشكر الأستاذ **عيسى بوقرين** على توجهاته القيمة

وجميـــع الأساتذة الكرام بقسم العلوم الإنسانية ونشكر كل من ساهم من قريب وبعيد في انجاز هدا العمل المتواضع الذي نتمنى أن نكون وفقنا فيه .

قاسمي رزيقة

قيرون منال

اهـداء:

أهدي ثمرة مساري الدراسي ونور آخر شمعة في مشواري الاكاديمي للحبيب الذي أقتدي به والنور الذي أبصر به إلى قرة العين وحبيب القلب، إلى شفيعي وأنيسي في ديني ودنياي محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من علمتني الشعر قبل الفطام .. إلى من أهدتني الوصل دون أخصام، إلى من سقتني من حنانها شهد الهدام أهديها كلماتي كحناو سلام، إلى من تحتوي سروري بإشراقة ابتسامتها، وتدفن ألمي بدفء حضنها، إلى أقدس سماء ترعاني بصفائها إليك أمي الغالية، إلى ينبوع العطاء والثقة بالنفس إلى من نزع من روحه وراحته، إلى الغالي الذي حملت اسمه فكان الرف في ذلك المثل الأعلى الذي فرش إلي طريق التسيير وبذر بداخلي حب طلب العلم أبي رحمه الله

إلى من يقاسمني حضن الوالدين وسندي في هذه الدنيا إخواتي: عبد القادر، بلحوت، حرزالله، خيرة، فاطمة، أمينة، فتيحة إلى صديقة الطفولة "منصورة

إلى أحلى براءة في الوجود، محمد، أيوب، يحي، حمزة، هبة الرحمان، نور الهدى، حليمة السعدية، نريمان، مهدي، ياسين، سهيلة، إلى كل زملائي في العمل –سمية، وفاء، جميلة، خديجة.

" إلى التي منحها الله القلب الواسع، التي قاسمتني عناء كثير "منال قيرون

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

"رزيقة"

الفهـــرس

فهرس المحتويات	الصفحة
الشكر	
الاهداء	
مقدمة:.....	**أ–د**
الفصل التمهيدي : أوضاع المغرب الأقصى في ظل الدولة السعدية	
الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية للمغرب	**06**
أصل ونشأة الدولة السعدية.....	**10**
الأسس التي قامت عليها الدولة السعدية.....	**12**
الفصل الأول : الدولة السعدية في فترة المنصور .	
تعريف شخصية أحمد المنصور.....	**15**
السياسية الداخلية في عهد المنصور.....	**15**
السياسة الخارجية في عهد المنصور.....	**19**
الدولة السعدية بعد وفاة المنصور والصراعات بين الأبناء.....	**24**
الفصل الثاني: الزاوية الدلائية	
لمحة عن عصر الدلائيين.....	**36**
موقف الدلائيين من الإضطرابات الداخلية	**40**
الحملتان الدلائيتان الاوليتان	**53**
نهاية الزاوية الدلائية	**62**
الفصل الثالث : ثورة ابن أبي محلي	
التعريف بصاحب الثورة	**65**

اسبابها 72
مراحها 73
نتائجها 79

الفصل الرابع : الحركة العياشية

حركة أبو عبد الله العياشي..... 82
الأسباب الكبرى للحركة العياشية..... 84
مراحل الحركة العياشية 98
نتائج الحركة العياشية..... 114
الخاتمة 117
قائمة الملاحق 119
قائمة المراجع 127
فهرس المحتويات

قائمة المختصرات :

ط	طبعة
ص	صفحة
ج	جزء
تر	ترجمة
م	ميلادي
(د.م.ن)	دون مكان نشر
(د.د.ن)	دون دار نشر
(د.ت)	دون تاريخ

مقدمة

مقدمة:

تميزت أوضاع المغرب في بداية القرن 17، بوجود سلطة مركزية ضعيفة غير قادرة على توحيد البلاد، وعاجز عن الوقوف في وجه الغزو البرتغالي المتزايد، وفي المقابل تقوى نفوذ الزوايا التي أصبحت تتولى مهمة تأطير حركة الجهاد ضد المحتلين إلى أن تهيأت الظروف بجنوب المغرب لظهور السعديين كقيادة جديدة للبلاد، وقد تمكن هؤلاء من تنظيم المقاومة ضد البرتغاليين واستعادة وحدة البلاد، والوقوف في وجه الأطماع الأجنبية .

عرفت الدولة السعدية أزهى عهودها خلال فترة المنصور، حيث اكتملت خلالها تنظيمات الدولة، وتقوى نفوذها واتبع ليشمل جميع مناطق المغرب وأجزاء من إفريقيا الغربية، كما ازدادت هيبتها على الصعيد الدولي بفضل السياسة الخارجية التي نهجها أحمد المنصور والشيء الذي كان له دور كبير في استقرار الوضع الاجتماعي بالمغرب حيث في النصف الثاني من القرن 17 انتعاش الحياة الاقتصادية والفكرية.

لكن بعد وفاة المنصور عرف المغرب الأقصى اضطرابات سياسية خطيرة بسب الصراع على الحكم بين أبناءه ورافق هذا تدهور في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، وترتبت عن ذلك تراجع السلطة السعدية، وظهور قوات أو ثورات سياسية ساهمت بدورها في عودة تجزئة المغرب وتفكك وحدته.

طرح الإشكالية :

1/- ماهي أوضاع المغرب الأقصى في ظل الحكم السعدي ؟

2/- وكيف تمكنت من تحقيق الازدهار والاستقرار للدولة ؟

3/- وماهي أسباب تدهورها والنتائج المترتبة عن ذلك؟

دوافع وأسباب اختيار الموضوع:

1- رغبتنا في معالجة المواضيع السياسية الخاصة بالثورات الداخلية في المغرب الأقصى لاسيما في نهاية الحكم السعدي.

2- ميلنا للدراسة المواضيع المتعلقة بالمغرب الأقصى

3- توفر مجموعة من النصوص ضمن الكتب على اختلاف أنواعها من مصادر ومراجع ووثائق تخص الفترة .

أهمية الموضوع:

تكمل أهمية الموضوع في إعطاء فكرة عن الدولة السعدية من خلال النوازل السياسية الكبرى في القرن 17 وتعود أسبابها إلى الفوضى التي كانتفي المغرب بعد وفاة المنصور الذهبي 1603 شد الصراع بين ورثه العرش من خلال الأحداث السياسية من بينها الثورات التي جاءت بعد الصراعات التي خذاها الأبناء.

الإطار المكاني والزماني:

لقد جعلنا عنوان هذا الموضوع محدد مكانيا وزمنيا فأما على عن الإطار المكاني فهو يخص **المغرب الأقصى** .

بينما المجال الزمني فقد حددته في القرن السابع عشر

المنهج المتبع:

هو المنهج التاريخي نظرا تحدثنا تاريخيا واتبعنا كذلك الوصفي من خلال هذا يسهل على القارئ أخذ فكرة عن هذه الثورات الداخلية مع طبيعة الحال اللجوء إلى المنهج التحليلي.

الصعوبات:

من الطبيعي أن تواجه الباحث مجموعة من الصعوبات والعوائق، تؤثر على جودة العمل وقيمته وكغيره من المجالات البحث التاريخي واجهتنا بعض الصعوبات أهمها الوصول إلى المصادر المتخصصة مثل الكتب المغربية التي تعتبر صميم الموضوع.

وكذلك المدة الزمنية غير كافية لأن موضوعا شائك ويحتاج إلى وقت للتعمق خاصة المراجع الأجنبية التي تحتاج لوقت لفك شفرة معلوماتها.

على الرغم من تنوع المصادر والمراجع حول الموضوع إلا أنها تتناول نفس الأفكار وأقصد بذلك التكرار .

شرح خطة الموضوع:

اعتمدنا في موضوعنا هذا على الخطة التي تضم 5 فصول تمثلت في الفصل التمهيدي:

الذي من خلاله تحدثنا على الأوضاع المغرب الأقصى في ظل الدولة السعدية (اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وفكريا) وكذلك تطرقنا إلى أصل ونشأة الدولة السعدية والأسس التي قامت عليها الدولة السعدية.

أما في الفصل الأول: بعنوان الدولة السعدية في فترة أحمد المنصور الذهبي بدأتها بتعريف شخصية المنصور ثم تحدثنا على سياسة المنصور الداخلية والخارجية، ثم ختمنا الفصل بالصراعات التي قامت بعد وفاة المنصور (صراع الأبناء).

الفصل الثاني:بعنوان الزاوية الدلائية التي قامت بعد وفاة المنصور من خلالها تكلمنا على لمحة عن الدلائين (النشأة، أصل التسمية والموقع....)

وكذلك تحدثنا على موقف الدلائيين من الاضطرابات الداخلية والحملتان الدلائيتان الأوليتان

أما الفصل الثالث: بعنوان ثورة ابن أبي محلي وتطرقنا فيه إلى شخصية الفكرية والعلمية وأيضا عن أسباب ثورته وأحداثها وكذلك انعكاساتها وتأثيراتها

أما الفصل الرابع: وهو الأخير بعنوان الحركة العياشية من خلالها تعرفنا على شخصية العياشي وأيضا أسباب ومراحل الثروة أو الحركة ونتائجها .

في الأخير توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات التي في أغلبيتها تجيب على الإشكالية.

نقد المصادر والمراجع:

كتاب "نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ": لمؤلفه محمد الصغير الو فراني وهو أقرب المصادر التاريخية زمنيا للفترة المدروسة، حيث يعد هذا المصدر من أغنى المصادر التاريخية وأكثرها تفصيلا، اقتبست منه الكثير من المصادر اللاحقة هذا الكتاب له قيمة تاريخية كبيرة كما يمتاز بالتفصيل الوافي، غير أنه كثير .

كتاب:" الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى " لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري فرغم أن الكثير من الباحثين يجمعون على هذا الكتاب مرجع من مراجع التاريخ المغربي، وذلك أن مؤلفة عاش في القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر ميلادي، إلا أنه يبقى من أهم المصادر المغربية التي لابد للباحثين في التاريخ المغربي وذلك أن المؤلف عاش في القرن الثالث.

كتاب نشر الثماني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، لمحمد بن الطيف القادري، وهو من أعلام ومؤرخي القرن الثاني عشر هجري من أهم كتبه، الثماني والتقاط الدرر وهو اختصار لأول وهو موسوعة في تراجم أعلام المغرب الأقصى مرتب ترتيبا حوليا، رغم أنه غزير بالمعلومات عن الشخصيات المغربية، إلا أنه النقول عن بعض المصادر مثل النزهة.

كتاب: " مناهل الصفا في مأثرة موالينا الشرفاء، لأبي فارس عبد العزيز الفشتالي، عامر أحمد المنصور ووضع كتابه هذا وفقا لتعليماته.

كتاب: " تاريخ الدولة السعدية التاكمدراتية "، لمؤلف مجهول فقد هذا الكتاب أعمال المنصور بموضوعية .

المراجع العربية:

أهم المراجع المتخصصة في تاريخ المغرب الأقصى في العهد السعدي أهمها:

كتاب"الزاوية الدلائية ودورها السياسي والاجتماعي والثقافي، لمحمد حجي، واعتمدت عليه في نواحي البحث.

كتاب المغرب عبر التاريخ لإبراهيم حركات.

الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب خلال القرن 17م لعبد اللطيف الشاذلي.

الفصل التمهيدي
أوضاع المغرب الأقصى في ظل الدولة السعدية

1-الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية للمغرب .

أ-من الناحية الاقتصادية:

لقد تأثرت المغرب الاقتصادية بحالة التجزئة والفتن السائدة -في داخل البلاد، وبالأخطار الخارجية التي ترتبت عن الاحتلال الأجنبي في داخل البلاد، وبالأخطار الخارجية التي ترتبت عن الاحتلال الأجنبي لمعظم السواحل المغربية، والتوسع العثماني في الجزائر في الوقت الذي كانت الروابط بين المغرب وغربي إفريقيا قد ضعفت والواقع أنه ليس هناك من مجال عكس لنا الحالة الحقيقية التي أصبح عليها المغرب، كالناحية الاقتصادية وهي تعد نرى أثر " للنشاط الذي عرف به المغرب في ميدان المبادلات التجارية مع بلدان حوض البحر المتوسط، وكذا مع مناطق الصحراء وغربي إفريقيا كما أن أعمال الزراعة التي كانت مزدهرة باعتبار أن معظم الأراضي في سهول خصبة قد اضطربت مما أضعف من نشاطها وقلل من منتوجاتها، إذا كان من الصعب على الفلاح أن يتعمد أرضه في جو تسوده الفتن والفوضى أي في أوضاع لم يكن الفلاح يشعر خلالها بالطمأنينة والأمن زد على ذلك المحافظة علو وسائل الزراعية القديمة، ونفس الأمر حصل للحرف الضائع التي جانب تمسكها بطرق العصور الوسطى، لم تجد الجو الملائم لازدهار والتطور، ولقد ترك لنا الأحسن الوزان ليون الإفريقي المعاصر[1].

وصفا هاما للحرف المغربية وعمليات التبادل التجاري، دون أن يغفل عن التعرض إلى النتائج التي تربت عن الاحتلال الأجنبي في الميدان الاقتصادي بوجه خاص، وجميع ما أورده يؤكد لنا بأن الاقتصاد المغربي قد أصبح يعيش في نظام شبه مغلق.

الأمر الذي زاد من مساوي الحالة الداخلية للبلاد فعمت الفتن والاضطراب وأصبح من الصعب وجود طرق أمنة منظمة.[2]

---

[1]- عبد الكريم كريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، ط 3،منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط .المملكة المغربية، المرجع السابق، ص13 .

[2]- نفسه، ص14.

ب-من الناحية السياسية:

كان لضعف السلطة في فاس وعجزها عن صيانة الأمن والدفاع عن البلاد أثر كبير في انتشار الفوضى والفتن مما أدى إلى التجزئة المغرب إلى وحدات سياسيا شنه مستقلة بعضها أملتها ظروف الجهاد ومقاتلة العدو المحتل للسواحل المغربية كما حصل بالنسبة لشفشاون والقصر الكبير وتطوان، بعضها الأخر نتيجة البعد عن مقر الهيئة الحاكمة، ذلك كما تم في شرق المغرب وجنوبه، وبالإضافة إلى أن معظم القبائل التي كانت بالسواحل الأطلسية خاصة قد وجدت نفسها مضطرة إلى مهادنة المحتلين وإعلان بعضها الدخول تحت حماية البرتغاليين .

والى جانب مدينة القصر الكبير التي (كانت سوقا تجلب إليها بضائع العدونين وثغرا بين بلاد المسلمين وبلاد النصارى) وقد تولى حكم هذه الإمارة عائلة العروسي التي كان القائد أحمد من أشهر أبنائها ومن الذين عرفوا بحملاتهم المتواصلة ضد مراكز الاحتلال، على أن المدينة التي ساهمت بحظ أوافر في هذا القبيل هي مدينة تطوان وذلك يحكم موقعها على الساحل الشمالي للمغرب حيث كان البرتغاليين والاسبانيين قد أتموا السيطرة على المدن الهامة بهذه المنطقة يضاف إلى ذلك وه العامل الأساسي كون تجديد هذه المدينة يرجع إلى المهاجرين الأندلسيين الذين كانوا يقدرون جيدا مدى خطورة التوسع المسيحي في المغرب الأمر الذي دفعهم إلى قيام حركات الغزو وخاصة في البحار ضد السفن الاسبانية والبرتغالية وقد تولت أمر هذه المدينة عائلة تونسية هي أسرة المنظري التي توارث أبناؤها الحكم في تطوان والذين اشتهروا أعمالهم

الحربية ضد الأعداء[1]حيث كانت ظروف الجهاد بقتال المحتلين قد ساعدت على ظهور هذه الوحدات السياسية في شمال المغرب، فان ضعف الحكم الأوطاسي في فاس قد

[1]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص16

دفع بعض الولاة في المناطق البعيدة إلى محاولة الاستقلال عن العاصمة، ومن القبيل ما حصل في مدينتي دبدو بالمغرب الشرقي، ومراكش في جنوب المغرب .

– **دبدو:** تقع بعيدة عن وادي ملوية والتي تعد نقطة هامة في المغرب الشرقي قد أخذت تظهر كمركز الإمارة شبه مستقلة منذ العهد الأول لقيام الوطاسيين، ونحن وأن كنا نجهل الكثير عن هذه الإمارة لقلة المصادر والوثائق عنها إلا أنه حسب ما يظهر فان هذه المدينة قد التجأ إليها بعد زوال الحكم المدني في فاس بعض الأمراء المريين، وفي منظومة الكراسي ما ذلك إذ ورد بأن أميرا مربيا هو محمد بن أحمد قد ثار بدبدو ودعا لنفسه واستمرت هذه الإمارة في الظهور وهي مركزا " جديدا " الحكم المغرب.[1]

ج–من الناحية الاجتماعية:

فلئن كانت هناك مدن قد ازدهرت من قبل ولازالت بها بعض من كظاهر حضارية فان أغلبية العظمى من السكان كانت تعيش في البادية حيث يسود نظام العشيرة والقبيلة، فمدينتا فاس وتطوان كانتا تمثلان مشوى رفيعا من التقدم الحضاري: الأولى باعتبارها العاصمة السياسية منذ عهد المرينيين، والثانية تدين بوجودها وتقدمها إلى المهاجرين الأندلسيين الذين تقلوا من وطنهم الأصلي مظاهر شتى للحضارة العربية الأندلسية وتأتي بعد فاس وتطوان مدينة مراكش التي لا تزال بها بقايا من مجد غابر عرفته عهد المرابطين والموحدين، أما بقية المدن الساحلية كانت قد وقعت جميعها تقريبا في قبضة الاحتلال الأجنبي وبالنسبة البادية التي كانت تمثل القسم الأعلى والهام، فان حياة القبيلة ونظام العشرة هما السائدان من بين أنماط الحياة بالمغرب، ولا تخفي علينا المظاهر التي تغلب على المجتمع القبلي سواء فيها يرجع للتمسك بالأعراف والتقاليد المحلية، مما يحول دون قيام ترابط بين أفراد المجتمع، أو

[1]– عبد الكريم، مرجع السابق، ص17.

–المرابطين: هي دولة اسلامية ظهرت في القرن الخامس والسادس هجري،في منطقة المغرب الاسلامي انبثقت من حركة دعوية اصلاحية.

–المواحدين:هي دولة حكمت المغرب العربي عددمن السلالات والاسر الحاكمة كان من بينها دولة سميت بهذا الاسم.

فيما يتعلق باستمرار المنازعات العصيبة، وما يتبعها من فوضى وفتن ولا يوجد بين أيدينا أعظم من منظومة الإمام الهبطي[1] المعاصر الألفية التي تعتبر صورة حقيقة لما ألت إليه في البوادي المغربية والظواهر التي تبرزها الألفية هي انحراف الناس عن مبادئ الإسلام الصحيح.

د- من الناحية الفكرية:

التي أكثر ما يهمنا منها الاطلاع على الدور الذي أصبحت تلعبه الزوايا والرابطات التي كانت مثبتة في مختلف مناطق المغرب فنحن بعد تعرفنا على الأوضاع العامة التي كانت عليها المغرب من سياسية واقتصادية واجتماعية عند مطلع القرن السادس عشر أصبح من السهل علينا أن نتنبأ عن حالة الفكرية التي أصبحت عليها البلاد، فإذا كانت فاس لاتزال متمتعة بالشهرة العلمية بفضل جامع القرويين وإذا كانت تطوان قد أخذت تنبوأ مقاما رفيعا في هذا المجال باعتبار أن المهاجرين الأندلسيين الذين أنشأوها كانوا على مستوى عال من التقدم الفكري والحضاري، فانه لمن الصعب العثور على مراكز علمية أخرى تصارع ما ذكرنا، اللهم إلا ما كان من الزوايا والرابطات التي قلما تخلو منها منطقة أو ناحية من بلاد المغرب والتي لم تعدم ظهور أئمة ومشايخ اشتهروا في علوم الدين أو عرفوا بالتقشف والزهد، وهذه الزوايا والرابطات ترجع في أصلها إلى حركات الصوفية الأولى التي كانت قد تسرب الانحراف والشذوذ إلى بعض الحكات الصوفية أبعدها عن أهدافها الحقيقية إلى حد أن الكثير من الفقهاء قاموا يعارضون بقوة هذا اللون من الطرق لبدع التي أحدثتها وأكثر ما ظهر ذلك في البوادي التي كانت أكثر غلوا في الجهل حيث وجد فيها هؤلاء المدعون تربة خصبة للشذوذ ولعل هذا هو الدافع الذي جعل الإمام الشيخ زروق يصف بعض الطرق السائدة في عصره بقوله (ولقد تتبعت الطرق الموجودة بأيدي الناس في هذه الأزمنة فلم

[1]- الهبطي: هو الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن الطنجي المعروف بالهبطي نسبة إلى الهبط وهو من أكابر أهل العام والعرفان ورفعة القدر الواضحة البرهان، المرجع نفسه،13

لأهلها فتحا ولا نورا ولا حقيقة ولا علما ولا ذوقا ولا فهما، بل ولا لذة نفسانية غير لذة الرياسة والامتياز بالاختصاص[1] .

2-اصل نشأة الدولة السعدية:

كانت نشأة الدولة السعدية خلال القرن العاشر هجري (16م) في ظروف داخلية صعبة وضغط خارجي قوي، وتمكنت من إعادة توحيد البلاد وتحرير الثغور حاملة شعار الجهاد وعمل السعديون في أوج دولتهم مع أحمد المنصور على تطوير أجهزة الدولة ومحاولة تحديثها إداريا وعسكريا واقتصاديا حتى تتمكن من توفير الوسائل المادية الضرورية دعائم الدولة ومواجهة الإطماع الخارجية المتعددة، نشأة الدولة السعدية انطلقت من سوس منذ أواسط القرن الخامس عشر عملت على تحرير البلاد وتوحيدها، ومع ضعف السلطة الوطاسية استقلالا يكاد يكون تاما، فأدارت القبائل شؤونها مستغلة خيراتها الفلاحية وموارد التجارية نحو المغرب لفائدة الأوروبيين، وإغلاق منافذه البحرية أضعف الموارد التجارية للمنطقة التي تضررت أيضا من هجماتهم فالتفت قبائل لسوس حول فروع الزاوية الشاذلية في أقا وتيدسي لأجلاء المحتلين المسيحيين من الثغور تحت راية الجهاد وينظم المقاومة والأشراف السعديون الدين استقطبوا التأييد ينتسبون للبيت النبوي واستقرار بدرعة الأواسط القرن 14م وهي من المراكز طريق التجارة الصحراوية .[2]

•أصل السعديين:

تروي عن نسب السعديين روايات كثيرة أهمها مايلي:

قيل أنهم من بني سعد هوزان الذين تنتمي إليهم حليمة السعدية مربية الرسول صلى اله عليه وسلم وهي زاوية المقري صاحب "النفح الطيب"[3]

[1]- الفكر الصوفي والانتمالية بالمغرب، مقال في البينة، العدد السابع،نوفمبر1960، ص91.)

[2]- نشأة الدولة السعدية وإعادة توحيد المغرب، مادة التاريخ، المنهاج المغربي.

[3]- أحمد بن أحمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب**، ج3، دار صادر بيروت، 1988، ص72.

وقد قيل أنها لقبهم العامة بالسعديين لأنهم سعدوا بدولتهم وهذه من روايات الأفراني وقيل أنهم أيضا من ولد النفس الزكية فهم والحالة هذه أبنائهم العلويين يجتمعون في محمد بن القاسم بن محمد وهذه الروايات ساقها الناصري في الاستقصا في أول كلامه على الدولة السعدية[1].

جاءت رواية أخرى أن يذهب السعديين إلى أنهم من أولاد علي بن أبي طالب وقد أقر بعض المؤرخين بصحة هذا النسب ببنها أنكره آخرون وقالوا أنهم عرب من بني سعد بن بكر[2].

ولذا سمو بالسعديين ويقول البعض أنهم سمو بهذا الاسم لأن البلاد سعدت بهم ولايرضى السعديون بهذا الاسم لأنه يبعدهم عن نسبهم الشريف الذي يحرصون عليه كل الحرص [3].

والصحيح هو أنه الدعاية الشائعة حول نسبهم من حيث عدم انتمائهم إلى البيت العلوي إنما تولى كبرها الإشراف العلويين أنفسهم لأنه السعديين أقصوها من المراكز الأساسية في الحكم ثم عادوا الاعتراف يشرفهم لسان سلطانهم محي الدين عبدا لله على بعض خصومهم يهتمون المنصور بأنه لم يكن أبناء شرعيا[4]

[1]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصاء لدول المغرب**،ج 3،سنة 1955، ص73.

[2]– الحسن السائح، **الحضارة الإسلامية في المغرب**، ط2، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، 1986، ص289.

[3]– أحمد بن المقري، المصدر السابق، ج3، ص73.

[4]– إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1978، ص275.

3-الأسس التي قامت عليها الدولة السعدية:

قامت الدولة السعدية على أساس ديني سياسي:

أ- السعديون أشراف يرون أنهم أحق بالملك من بني وطاس الذين فشلوا في صنع المغرب كليا في وحدة سياسية متكاملة ومتماسكة وهكذا لجأ إلى إقناع الناس بشرف نسبهم حتى يبررون أن لقيام دولتهم أساسا دينيا وأنهم ليسوا سوى مجرد معتصبين خلفوا معتصبين أخريين.

ب- كان من الضروري توحيد صحف المقاومة الشعبية التي تصدى لها على الخصوص الصلحاء والمتصوفة ولم يكن بين الشخصيات المغربية أحسن مقام من الأشراف الذين كانت لهم في نفوس المغاربة مكانة عظيمة، فكانوا في نظر الكثير من العامة أحق الناس بتول ى الملك[1].

ج- تحرير السعديين للثغور المحتلة وتوحيدهم البلاد شكلت سنة 1511 بداية واجهة العسكرية مع البرتغاليين في الجنوب فبعدما استقطبت الدعوة السعدية منذ البداية سكان المناطق الجنوبية المتضررة من سوس مرور عبر درعة أصبحت تتطلع إلى فك الحصار المفروض على التجارة الصحراوية مما جعلها في مواجهة البرتغاليين لهذا استهدفت الحملات السعدية الأولى ضدهم عزل الثغور المحتلة جنوبا تمهيدا لتحريرها [2] .

د- بعد ذلك تمكن السعديون من بسط نفوذهم تدريجيا على مجموع التراب المغربي عبر ثلاث مراحل:

- **المرحلة الأولى: 1511م/1525م** وقد أظهر خلالها السعديين دهاءا سياسيا بالحفاظ على ولائهم للوطاسيين إلى أن وطدوا نفوذهم ف الجنوب المغربي، ووضعوا أسس الدولة الجديدة واسترجعوا الطرق التجارية الشرقية .

[1]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص243.

[2]- أحمد بن المقري، المصدر السابق، ص244.

- المرحلة الثانية:(1525م/1536م)

تميزت هذه المرحلة بالمواجهة مع الوطاسيين الذين حاولوا أكثر من مرة القضاء على القوة الجديدة المنافسة لهم، خاصة بعد دخول السعديين مراكش 1521م حيث شنوا الحرب ضد السعديين في معركة أنماري سنة 1529م ومعركة مشرع بوعقبة على صلح بوعقبة على وادي العبيد سنة 1536م فانهزم الوطاسيين وثم عقد صلح بوعقنة على وادي 1536م لذي اعترف بالسعديين كقوة ثانية بالبلاد يمتد نفوذها جنوب أم الربيع.

- المرحلة الثالثة: (1539م/1549م) وتميزت هذه بفشل محاولة لاسترجاع مراكش من طرف الوطاسيين 1538م والتي ترتب عنها تراجعهم عن تادلا وبعد أن تمكن محمد الشيخ السعدي من تنحية أخيه أحمد الأعراج واصل السعديون ضغطهم على المناطق الشمالية إلى أن تمكنوا من ضم مكناس فاس سنة 1549م ثم باقي المدن والشواطئ وبذلك وحدوا البلاد تحت سلطتهم[1].

[1]- أحمد بن المقري، المصدر السابق، ص245.

الفصل الأول
الدولة السعدية في فترة المنصور

1-تعريف شخصية أحمد المنصور:

يعتبر أحمد المنصور السعدي أعظم ملك في تاريخ الدولة السعدية بالمغرب الأقصى وحكم البلاد من سنة 1578-1603

حيث عرف المغرب في عهده تطورا ملحوظا سبب التغيرات التي أحدثها على مستوى الداخلي والخارجي، وقد كانت لها انعكاسات ايجابية حسنت من ظروف المملكة المغربية ففي ما تمثلت سياسته الداخلية وعلاقته الخارجية .

2-السياسة الداخلية في عهد المنصور

1 -بيعته: بويع احمد منصور غداة معركة وادي المخازن، ولقب بالمنصور تيمنا بهذا النصر العظيم، بعدان أخذ أنصاره يدعون في أنحاء المغرب بأن المنصور هو الخليفة الوحيد للمسلمين ومن جهة أخرى أنه بحكم النسب الشريف للحكام السعديين اعتبروه دولتهم بعثا وتجديد للخلافة الهاشمية، وبأحقيتهم في الحكم أكثر من العثمانيين ولقب بكل ألقاب الخلافة مثل أمير المؤمنين أمام الجماعة ركن الأمة الخليفة المخصوص بتراث الرسالة وذكر اسمه في الخطبة والسكة [1].

أعماله:

- الموازنة بين الثقافة التقليدية والخبرة بالرسائل العصرية والدبلوماسية والإدارية، حيث أطلق عليه " خليفة العلماء وعالم الحلفاء:[2]

- يعد أول واضع نظام ثابت في المغرب، يشمل النظام الإداري والعسكري والضرائبي.[3]

---

[1]- السويكت فهد بن محمد، موقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية، مجلة جامعة الملك سعود، كلية الآداب الرياض، العدد19، 2006، ص215.

[2]- محمود علي عامر ومحمد خير فارس، **تاريخ المغرب العربي الحديث** (المغرب الأقصى) ص56.

[3]- شمس الدين نجم، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع عمان، 2001.

– إعادة تنظيم الجيش، حيث قلد الأتراك في نظامهم الحربي، وضم عدد من الأندلسيين والزنوج ومن الأتراك اللاجئين بالمزج بين النظام اتركي والمغربي.[1]

– أصلح البلاد والعباد وانتشرت العافية واستفاد من مال الأسرى بأغلى الثمن .[2]

– اهتم بالتجارة وأحتكر الصناعة وجمع الضرائب، وعرف بالعزم والثبات في إدارة شؤون البلاد.

– اهتم بالأسطول والجيش الذي قسمه إلى قسمين:

أ– جيش نظامي حديث: يتألف من الأتراك والعلوج والأندلسيين، ويعتمد في تدريبهم على الأسلحة الحديثة المستوردة من أوروبا .

ب– جيش تقليدي: يعتمد على أسلوب التجنيد التقليدي المعروف في المغرب، وعلى الأسلحة التقليدية غير نارية .[3]

– إنشاء القصر البديع بمراكش سنة 1577.

– قاوم التهريب، واستغل كل أرباح السكر الذي كانت أوروبا تقبل على استراده.

– أضاف على مراكش سمة حضارية وجعل منها مدينة أكثر تقدم ورفاهية أكثر مما كانت عليه أيام الموحدين .[4]

الأحداث التي ساهمت في بناء مجده:

من بين الأحداث التي ساهمت في تقوية نفوذه لبسط سيطرته على المنطقة هي:

أ– حملة السودان: باعتبار بلاد السودان المشهورة بالذهب وحتى لا تقع هذه الثروة في أيدي الأوروبيين الذين باشروا زحفهم على الساحل الإفريقي، وجه المنصور نظاره إليها

---

[1]– محمود السيد، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، سنة 2006، ص341.

[2]– المؤرخ المجهول، **تاريخ الدولة السعدية لتكمدراتية**، تقديم عبد الرحيم ستيحادة، ط1، دار تيحمل مراكش، 1994، ص65

[3]– محمود السيد، المرجع السابق، ص341.

[4]– المؤرخ المجهول، المصدر السابق، ص65.

لحاجته للذهب والمال ورغبة منه في توسيع رقعة ملكه وتطوير الميادين الاقتصادية [1] ووقعت هذه الحملة في سنة 1590م وكان النصر فيها حليفا لأحمد المنصور حيث بدأت كميات الذهب ترسل إلى مراكش، وتقول الروايات بأن مقدار الذهب الذي عاد به المنصور من بلاد السودان سبب في تسميته الذهبي[2]، وقد شهد ثلاثون بغلا ومحملا بالذهب وصك منه العملة في عهده حتى بلغ ألف وأربعمائة وكل هذا الغنى الطائل للدولة وتجارتها وأهلها هيأ لها ازدهار في الحضارة ويتصل بها من الصناعات واحتياجات الحياة.

وقيل أن المنصور كان يرغب في إنشاء إمبراطورية إسلامية منافسة للإمبراطورية العثمانية وكان احتلاله للسودان محاولة لضرب النفوذ الأوروبي في تلك المنطقة .[3]

وكان لهذه الحملة نتائج منها:

تشويه سمعة الإسلام، وتدمير التجارة السودانية، وانهيار الثقافة لان أحمد المنصور نقل علمائها إلى المغرب خوفا من تحريض السكان عليه.

استخدام إعداد كبيرة من العبيد في جيشه لتدعيم قواته العسكرية لتحقيق مكاسب أكثر.[4]

ب- مشروع الدون انطونيو: بعد الصراع القائم بين انجلترا واسبانيا سعت هذه الأخيرة لكسب ود أحمد المنصور حتى يتحالف مع انجلترا ضدها وأمام هذه الظروف استنجد الدون انطونيو المطالب بالرش البرتغالي بالملكة اليزابيث لاستعادة العرش فراسلت أحمد المنصور بهذا الخصوص ليتم عقد تحالف بينهما ينص على منح انجلترا أسطولا للدون انطونيا في يحن يتولى أحمد المنصور التكاليف والذخيرة والمؤن [5]الذي وجد الفرصة المواتية لتدخل في مشروع الدون انطونيو كوسيلة لضرب النفوذ الاسباني بعد إرغام الملك الاسباني فيليب

---

[1]- محمود السيد، المرجع السبق، ص341.

[2]- العربي الزبيري، **مدخل في تاريخ المغرب العربي الحديث**، مطابع الجرائر 1975م، ص40.

[3]- عبد اللطيف الشاذلي، **الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب القرن 17م**، ط1،ص294.

[4]- نفسه، ص582

[5]- العربي الزبيري، المرجع السابق، ص41، 42.

الثاني على التفاهم معه للتنازل عن بعض مراكز الاحتلال البرتغالية، سعيا منه في الحصول على مكاسب أعظم.[1]

وتدخل المنصور في مشروع الدون انطونيو راجع لعدة أسباب أهمها:

- تحرير الثغور المغربية من الاحتلال الأجنبي

أ- مساعدة الدون انطونيو خاصة وأن بعض مراكز الاحتلال كانت لاتزال تحت السيطرة البرتغالية.

ب- مسامة الملك الاسباني لويس الثاني الذي كان يهمه جدا أمر بقاء المنصور على الحياد في النزاع الاسباني الانجليزي.

- تنفيذ سياسة توسعية في السودان وجنوب غربي إفريقيا[2]

وبالتالي فان تدخل المنصور في المشكلة البرتغالية فيه الكثير من المعاني، تصريحه العلني بمعاداة أسبانيا وتحالفه مع انجلترا والسعي للضغط على خصمه اللدود باستغلال ظروف اسبانيا الحرجة كل ذلك كان الهدف من ورائه استعادة بعض المراكز المحتلة.

ج- التحالف مع هولندا ك كانت هولندا قبل سنة 1596م جزء من ممتلكات اسبانيا فقامت خلال هذه الفترة بشن حملة على اسبانيا وبما أن ذلك يخدم مصالح المنصور تحالف معها فقدم لها تسهيلات من خلال السماح لها باستعمال الموانئ المغربية لتطوير تجارتهم [3].

[1]- كريم عبد الكريم، المرجع السابق، ص125.

[2]- المرجع نفسه، ص123.

[3]- العربي الزبيري، المرجع السابق، ص42.

3-السياسة الخارجية لأحمد المنصور

حاز المنصور على سمعة كبيرة في أواسط الدول الأوروبية التي تتسابق إلى أخذ المكانة الأولى ببلاطه وكانت تلك فرصة مواتية لتسوية مشاكله الداخلية من خلال علاقته الخارجية أ- **مع الأتراك العثمانيين:** في البداية كانت العلاقة بينهما يسودها الطابع الودي والسلمي خاصة وان المنصور بالنصر العظيم [1]الذي لم يرد على رسالة السلطان العثماني حول تبعية المرغب للباب العالي[2].

ب- وكذلك حول تعيين إسماعيل ابن عبد الملك [3]حاكما على المغرب لأحقيته في وراثة العرش السعدي بالنظر للشعبية التي كان يتمتع بها والده وسمعته الطيبة في أواسط السكان[4]، كان الغرض من وراء ذلك إيجاد عميل موالي لهم لتدعيم نفوذهم في المغرب[5]، غير أن أحمد المنصور لم ويلي ذلك أهمية وهذا ما أثار حفيظة السلطان العثماني فأمر علج علي بإرسال حملة لمواجهة المنصور ولما علم بذلك سعى لإصلاح الوضع بإرسال هدية للسلطان العثماني الاعتذار وتم التراجع عن الحملة وبالتالي تحسنت علاقات الطرفين فراسل السلطان العثماني أحمد المنصور قائلا " لك علي العهد أن لا أمد يدي إليك إلا للمصافحة، وان خاطري لا ينوي لكالا الخير والمسامحة [6]ودامت الاتصالات بينهما لدرجة

---

[1]- العثيمي عبد الفتاح المقلد، **موسوعة المغرب العربي بني حفصي وبني مرين وربان وبني طاس والسعديين إلى ظهور الأشراف العلويين**، ج6، ج5، دراسة تاريخ القاهرة، ص195.

[2]- ابن عبد الملك السعدي، تركه أبوه عند أتراك عندما دخل المغرب لقتال المتوكل ورآه الأتراك في حقبة الملك أكثر من المنصور (السلطان علي، تاريخ العرب الحديث، 1516-1918،منشورات طرابلس العلمية والعالمية، ص584.

[3]- نفسه، ص584.

[4]- خير فارس محمد محمود علي عامر، **تاريخ المغرب العربي الحديث**، (المغرب الاقصى، ليبية)منشورات جامعة دمشق، سنة 2000، ص61.

[5]- السويكت، المقال السابق، ص200.

[6]- السلطان علي، مرجع سابق، ص584.

أن السلطان العثماني عرض على احمد المنصور الزواج من ابنته، وإمداد ب300سفينة وقوة بشرية لشن حملة على اسبانيا.[1]

ب- العلاقة مع اسبانيا: عرفت نوع من الهدوء والاستقرار في البداية ولكن سرعان ما توترت بعد تصالح المنصور مع الأتراك الذي سعى لتقوية صلاته بهم خاصة بعد ضم البرتغال إلى التاج الاسباني والسعي للاستيلاء على ممتلكاتها في المغرب خاصة وأن العرائض في نظرهم تساوي كل إفريقيا غير أن المنصور تماطل في الرد عليه بخصوص العرائض بدعم من السلطان العثماني [2].

بعد استعادة المنصور لاصيلا تغير الموقف تماما مما شجع فيليب الثاني على تقديم يدا المساعدة للناصر شقشق المتوكل لشن حملة على المغرب غير أن المنصور تمكن من القضاء عليه واعتبر ذلك هزيمة لإسبانيا التي عست لاحتلال جزيرة الارجوين والشاطئ الصحراوي المواجه لها لتحويل ذهب السودان إليها مما دفع بأحمد المنصور إلى التحالف مع فرنسا وانجلترا ضد الإسبان اقتسام ممتلكاتها غير أن هذه المشاريع لم تنفذ لظروف شغلت الأطراف في ميادين أخرى.[3]

ج- العلاقة مع فرنسا: هي أيضا من الدول التي سعت إلى عقد علاقات طيبة مع أحمد المنصور الذهبي خاصة وان اسبانيا كانت تتدخل في شؤونها فهي كل ما كان يهمها تسهيل مرور سفنها في شواطئ المغرب وإطلاق سراح أسرارها باعتبارها كانت لها علاقات طيبة مع المغرب في عهد عبد الملك غير أن الأوضاع الداخلية المتردية لفرنسا لم يسمح لها بالاهتمام بالشؤون المغرب السياسية وبعد تولي هنري الرابع الحكم في فرنسا وتحسين

[1]- خير فارس، المرجع السابق، ص585.

[2]- السلطان علي، المرجع السابق، ص585.

[3]- خير فارس، المرجع السابق، ص66-65.

أوضاعها الداخلية وجه اهتمامه التحالف مع المغرب وتنشيط علاقاته التجارية معه وكل ذلك بحكم العداء الفرنسي الانجليزي .[1]

د- العلاقة مع انجلترا: عرف المغرب بعلاقاته المتميزة مع انجلترا منذ عهد عبد الملك وبقيت ذلك في عهد أحمد المنصوري الذي يتوافق عهده مع عهد الملكة إليزابيث التي بدأت نشاطها التجاري والبحري والاستعماري على نطاق واسع بعد أن أصبحت قوة لها وزنها وتعود أولى العلاقات بينهما منذ بدأت انجلترا تستورد سكر المغرب وشمل اهتمامها بالمصالح السياسية والتجارية في أن واحد إضافة إلى حاجة أحمد منصور للخشب الانجليزي لتحصين أسطوله، دون أن ننسى التبادل بالسلاح مقابل ملح البارود المراكشي والتبادل بالذهب والكبريت مقابلة الأقمشة، إلى جانب تحالفها ضد فيليب الثاني حول مشكلة العرش البرتغالي للدون انطونيو[2]الذي استنجد هما لاستعادة العرش البرتغالي، وقد ورد في رسالة أحمد المنصور للدون انطونيو" هذا مكاتبكم الأثيرة ورسائلكم هذه الأخيرة قد اتصلت بحضرتنا الشريفة على يد رسولكم المقيم من قبل هذا في حريم دارنا والمستقر منذ أعوام في جوارنا فكل ما يبت لكمن عنا وينهيه من الخير إليكم منة لدنا فثقوا به إنشاء الله وشدوا عليه يدكم وعمرو به فوائدكم.[3]

وأمام التحالف تهيأ فيليب الثاني لشن حملة على انجلترا التي كانت في نظره السبب الرئيسي في معظم الأحداث التي تعرضت لها إمبراطوريته، غير أن هذه الحملة كان مآلها الفشل في 10 يوليو 1588م، فراسلت بذلك الملكة إليزابيث أحمد المنصور " تعبر عن شكرها الخالص لنا يعرب عنه المنصور من استعداده لمساعدة الدون انطونيو، ثم تخبره أن

[1]- خير فارس، المرجع السابق، ص62.

[2]- محمد رزوق، **العلاقات خلال القرن 16 خلال السعدي الأول**، مجلة المناهل العدد38، السنة 15، 1989، ص 191.

[3]- عبد الكريم عبد الكريم، المرجع السابق، ص125

الأمير كريستوف سيبقى رهينة عنده في المغرب مقابل المساعدة المادية والقرض المالي الذي سيقدمه لدون انطونيو والمقدر بمائة ألف دولة .[1]

هل كان أحمد المنصور جاد في وعوده باتجاه انجلترا والدون انطونيو ؟ وهل كان جاد في مسألة القرض للأمر البرتغالي لاستعادة العرش؟

في الواقع إن الأحداث التاريخية توضح لنا بأن أحمد المنصور كان حذرا في التعامل مع انجلترا والدون انطونيو ضد فيليب الثاني وذلك راجع لعدة أسباب من أهمها:

– رغم وصل الأمير كريستوف إلى المغرب، ورغم تعهد المنصور بتقديم القرض المالي والمشاركة في حملة عسكرية ضد اسبانيا فهو لم يفي بوعوده التي كانت نتيجتها انهزام انجلترا أمام اسبانيا في جوان 1589م وبالتالي حملته مسؤولية الهزيمة .

– دخول المنصور في مفاوضات سرية مع فيليب الثاني بعد أن أبد هذا الأخير تنازله عن بعض مناطق الاحتلال الاسباني وفعلا تم إجلاء أن أصيلا يوم13 سبتمبر 1589م أي بعد تأكد فيليب الثاني من عدم مشاركة المنصور في الحملة ضد اسبانيا[2] وبعد الجلاء منها دخلها المسلمون وأقيمت فيها شعائر الإسلام بعد أن أزيحت منها كلمات الكفر.[3]

وبالتالي فان موقف أحمد المنصور من استغلاله للنزاع الاسباني الانجليزي قد ساعده على تحرير أصيلا باعتبارها مدينة هامة وقاعدة رئيسية من قواعد الاحتلال الأجنبي بالمغرب دون خوض معارك حربية، أو إراقة الدماء ومعتمد في ذلك على سياسة الحذر واستغلال الظروف لتحقيق مصالحة والمزيد من الانتصارات دون تكاليف .

أما انجلترا سعت للبحث عن حليف أخر باعتبار أن المنصور لم كين صادقا عوه الذي كان يهمه تغيير موازين لصالحه مما زاد من قوته في الداخل والخارج .

---

[1]– عبد الكريم عبد الكريم، المرجع السابق، ص128.

[2]– نفسه، ص132.

[3]– الفشتالي أبي فارس عبد العزيز، **مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفاء**، تحقيق عبد الكرم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف الرباط، (د.ت)، ص114.

س: هل المنصور استثمر هذا النصر العظيم في تحرير بقية السواحل المحتلة باستثناء أصيلا ؟

إن المغاربة لم يستثمروا هذا النصر في تحرير سواحلهم المحتلة ؟ وهذا راجع لعدة أسباب منها:

1 – انشغال المنصور في بداية حكمه بتحسين الأوضاع الداخلية للبلاد ولم يكن في نيته توريط المغرب في معركة جديدة بعد هذا النصر العظيم .

2 – في الوقت الذي كان من المفروض أن يفكر المنصور بطريقة لاسترجاع سواحل المغرب المحتلة صب اهتمامه على توجيه حملة على السودان قصد الحصول على ثرواتها.

3– الانشغال بالمشكلة البرتغالية بالتحالف مع انجلترا أدى إلى إهمال قضية استرجاع الثغور المحتلة .

وفاة المنصور: كانت السنوات الأخيرة من فترة حكمه ككئيبة بسبب انتشار مرض الطاعون الذي فتك بالبلاد سبع سنوات تسبب في هلاك الكثير من السكان، افتقرت المدن والريف مصحوبا بقحط وجفاف دام ثلاث، ليتبعه بعد ذلك مجاعة مخفية، إلى جانب الصراع بين أولاد أحمد المنصور على العرش الذي ترك البلاد لمصير مظلم بعد وفاته 1012خ /1603م[1]

عرف المغرب في عهد أحمد المنصور الذهبي نوع من الهدوء والاستقرار من خلال نسج علاقاته مع الدول الأوروبية إلى كانت تسعى عقد علاقات صداقة معه، ولكن رغم إتباع المنصور سياسة استغلال الظروف لتحقيق مصالحه كشخصية إلا أنه بلم يتمكن من استرجاع الثغور المحتلة ماعدا أصيلا وبالتالي يمكن القول بأن المغاربة لم يستثمرون هذا النصر الخالد في استرجاع السواحل المحتلة .

[1]– محمد خير فارس، المرجع السابق، ص71.

4-الدولة السعدية بعد وفاة المنصور الذهبي:

تعرضت المغرب بعد وفاة المنصور الذهبي لكثير من المحن والشدائد بل أن الأخطار قد زادت على البلاد واشتدت وطأة لتدخل الأجنبي الخارجي والاحتلال الأوروبي التركي، فقد استفاد فيليب الثالث ملك اسبانيا من هذه الظروف لتصفية قضية المسلمين الأندلسيين (المورسكين) نهائيا واستغل طلب أبناء المنصور لمساعدته في مقابل تنازلات اقتصاديا وسياسية ولم يلبث فيليب الثالث أن أمر في 1609م بطرد جميع المسلمين الأندلسيين (المورسكيين) من جميع المدن والقرى الاسبانية، وقد تم تنفيذ هذا القرار بالفعل ونجحت اسبانيا في تصفية بقايا الأندلسيين ويبلغ عدد الذين طردوا على هذه الصورة نصف مليون مسلم من ديارهم فنزلوا سواحل تونس وطرابلس والجزائر والمغرب الأقصى .

لكن وفاة المنصور الذهبي كانت دافعا لفليب الثالث لتصفية جذور المشكلة ومن هنا فقد استطاع نهائيا أن يضع حل متواجد الإسلامي في اسبانيا.

حيث اهتزت صورة المغرب بعد وفاة المنصور ذلك لأن المغرب كان بالقوة والسيادة والاستقرار والشدة في مواجهة الأخطار والأحداث في عهد الحلفاء السعديين الأوائل حتى وفاة المنصور، ذلك لأن هؤلاء الحلفاء كانوا يصغون في خططهم الاهتمام بالكيان المغربي ورفع شأن هذه الديار أمام القوى الخارجية التي تتربص به الدوائر والمحافظة على الاستقلال بين القوى الكبرى في هذا العصر.

شهد المغرب بعد وفاة المنصور مباشر عوامل انحلال والانقسام والصراع والتفكك والتقهقر والانطواء داخل حدوده وقيام كيانات صغيرة على أرضه .[1]

فقد الشعب ثقته في حكام السعديين بعدما كان يرى الأحداث والصراعات الدامية على أرضه من اجل المنصب حيث حلت بدايات أوضاع سياسية جديدة والأسباب والعوامل التي عجلت بوضع نهاية الدولة السعدية بمجرد وفاة المنصور الذهبي[2] لاسيما في نظام العرش

[1]-احمد الناصري، المصدر السابق، ص83

[2] -ابراهيم حركات، مرجع سابق،ص277

الذي كانت تسير الدولة على أساسه في توليه الحكم وقد دفع البلاد إلى كوارث ومتاعب كثيرة لأنه لم يكن يلتزم بأن يكون أكبر أبناء المنصور هو ولي العرش كما كان هناك اعتبارات أخرى في اختيار ولي العرش مما كان عليه حدوث التنافس والاقتتال بين أبناء المنصور وهذا مادفع بين مؤيد ومعارض لولي العرش بين استخدام القوة على السلطة وقد حدث الصراع على أشدة بين المنصور الثلاثة بعد وفاة المنصور .

وكان قرار المنصور بتعيين أولاده حكاما على الأقاليم إيذانا بتفكك الدولة وانهيارها بعد وفاة وقد كان الصراع بين ولاية زيدان والمأمون وأبي فارس.

سياسة المأمون:

وهو أبناء المنصور حيث كان محمد الشيخ المأمون خليفة أبيه على فاس ومجاورها من الأقاليم [1]، قد أخذ البيعة في حياة أبيه سنة 987 هـ/[2] والتي جددها سنة 992هـ وذلك لأن البيعة الأولى كانت قبل سن البلوغ لكن المأمون خرج على طاعة أبيه[3].

لم تكن سيرة المولى محمد المأمون حسنة ولا ممدوحة في نظر الرعية سواء في حياة أبيه أو بعد وفاته، وذلك أنه كان كثير الاستبداد والانفراد بالسلطة فقد سبق وأن استلف من أهل مدينة فاس (تجار) أموال كثيرا قصد متطلبات الحرب التي خاضها ضد أحيه زيدان ولما عجز عن دفع تلك الديون اختال على ممتلكات أبيه بالقوة من أجل تسديد تكاليف المعارك [4].

---

[1]- أحمد الناصري، **الاستقصا، الأخبار دول المغرب الأقصى**، ج6، ص145.

[2]- نفسه، ص140.

[3]- نفسه، ص146.

[4]- محمد بن الطيب القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تحقيق محمد حجي، ج4، ص132.

تسليم المأمون لميناء العرائيش

وقد كان إقدام المأمون السعدي على تنازله للأسبان عن العرائش، وذلك بعد انهزامه في فاس أمام أخيه زيدان وفراره إلى العرائش، ومن ثم عبوره الضفة الأخرى إلى فيليب الثالث مستصرخا به على أخيه زيدان وضمن له إعطائه العرائش والسبب المباشر في تأزم العلاقات بين الطرفين [1]

يترك أولاده وأهله رهينة من أجل دعمه بالمال والجند، شرط أن يتنازل له المأمون عن ميناء العرائش، فقبل الشيخ بذلك، وتوجه نحو صخرة بادس وذلك في ذي الحجة 1018هـ – 1609م ومنها توجه إلى بلاد الريف ليلتقي بأعيان فاس وعلمائها ليستفتي الفقهاء في أمر العرائش، خوفا من الفضيحة حيث انقسم الفقهاء والعلماء في موقفهم من هذه الفتوى إلى ثلاث طوائف بين مبيح للمأمون ما فعل اتقاء لشره وخوفا من البطش، وبين المذكر عليه، حتى تصدر الفتوى على غيره، وكلن المقري من الطائفة التي اختفت [2]

قد أفتى عدد من العلماء المسلمين وعلى رأسهم محمد بن القاضي بجواز تسليم لعرائش من قبل مأمون السعدي للإسبان، مسدلين على ذلك بأن قداء المسلمين سيما أولاد أمير المسلمين من يد العدو والكافر تسليمه مقابل بلد من بلاد الإسلام، وغير أن القليل من العلماء لم يوافقوا على هذا الرأي واكتفوا بالفرار دون إبداء الرأي الصائب وقد تم تسليم ميناء العرائش إلى الاسبان في 4 رمضان 1019هـ 20نوفمبر 1610م[3].

انعكاسات تسليم ميناء العرائش:

1– تذمر الشعب لدى العامة من المغاربة، فقد قائد المأمون قد أجلى السكان قصرا بعدما رفضوا مغادرة مساكنهم وأراضيهم.

---

[1]– أحمد الناصري، المصدر السابق، ج6، ص197.

[2]– المقري أبو العباس، أحمد محمد، **رحلة المقري إلى المغرب والمشرق**، تحقيق: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد الجزائر، ص6.

[3]– محمد بن الطيب القادري، ج4، ص167.

2- سقوط هيبة السعديين من الأمراء وخاصة بعدما اتضح للعامة والخاصة من المغاربة أن السلطة السعدية متواطئة مع الاسبان.

3- انتهاء الدور الجهادي الذي كان يقوم به السعديون في المغرب الأقصى، وطفت على العلاقات بين الطرفين صيغة التصالح السلبي الذي لا يخدم الصالح المغربي[1]

4- تضليل العلماء والفقهاء وامتحانهم في شأن استفتاء تسليم قاعدة العرائش، فقد حاول المأمون تضليل العلماء بادعائه أن هذا العمل يحاول فدية نفسه من قبضة الاسبان وهو استفتاء لهم بعد تعرضهم للخوف على أنفسهم والضغط عليهم .

5- ابتهاج اسبانيا بالاحتلال العرائش، وشرح الجنود الاسبان في ترميم المدينة وتشيد أسوارها وحفر الخنادق حولها [2]

6- ظهور الحركات الجهادية في أوساط الفقهاء: لقد كان لتصرفات المولى المأمون سيما إقدامه على تسليم ميناء العرائش، الأثر الواضح على تحول القضايا السياسية في المغرب الأقصى، على المستوى الشعبي على مستوى الفقهاء، في الوقت الذي ظهرت فيه شخصيات دينية أخرى تنادي بالجهاد ورفع السلاح في وجه المأمون وأنصاره وشكلت معارضة محلية حقيقية [3].

ويرجع الكثير من المؤرخين قيام رجال التصوف وإجهاد كان سبب قضية تسليم العرائش سنة 1019هـ/1610م انطلاقا من حركة عبد الله العياشي إلى حركة بن أبي محلي على الثورة الذي كان ينادي بالإجهاد لإخراج الاسبان من العرائش[4]وكذلك الدلائيين.[5]

---

[1]- عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص46-47.

[2]- أمينة اللوة، **قضية العرائش**، عدد27اوت 1980، ص180.

[3]- محمد بن الطيب القادري، مصدر نفسه، ص1165.

[4]- محمد الصغير الوفراني، **نزهة الحادي باخبار ملوك القرن**، ترجمة :هوداس، باريس 1989م، ص198.

[5]-محمد حجي، **المغرب في الدولة السعدية**، مجلة دعوة الحق عدد5،اوت 1980م ص131.

سياسة المولى أبي فارس:

هو أبي فارس عبدا لله بن احمد المنصور وتلقب بالواثق بالله، وهو شقيق المولى محمد الشيخ المأمون، وكان أبوه المنصور قد ولاه على تادلا وما جاورها من الأقاليم، ثم غير ذلك فولاه على مكناسة الزيتون[1]

إن المصادر التاريخية جلها لا تكاد تشير إلى هذه الشخصية إلا من خلال الحروب التي خاضها في إطار محاولة استرجاع ملك أبيه من أخواته، أو من خلال مواقفه السياسية، أو بعض انجازاته وتذكر المصادر التاريخية أيضا أنه كان محبا للعدل ناصحا لأخواته كماله محبة في أعين الناس [2]

ويذكر عنه مؤرخ القرن السابع عشر "الوفراني" «وكان مع ذلك يميل إلى المروءة والرفق وحسن السيرة »[3]

نهاية المولى أبي فارس:

كانت نهاية المولى أبي فارس على يد ابن أخيه عبد الله بن المأمون، إذ بعد أن فتحا مدينة فاس للمرة الثالثة، اتفقت طائفة من أهل فاس على إبعاده عبد الله ومبايعة أبي فارس، وما جعل عبد الله بن المأمون يدخل على عمه ليلا مع حاجيه فوجده على سجاد والجواري حوله فأخرجهن وأمر بعمه فخنق، وكان ذلك جمادى الأولى سنة 1018هـ/1611م[4]

وهذا هو نهاية العصبية الثالثة في المغرب، ولم يبقى من عصبيات أبناء المنصور إلا عبدا لله وأبيه المأمون، وعصبية المولى المأمون.

---

[1]- محمد الصغير الوفراني، المصدر السابق، ص191.

[2]- نفسه، ص، ص،186، 197.

[3]- نفسه، ص191، وأحمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص147.

[4]- نفسه، ص197، ويقصد بالعصبيات المغربية كل الشخصيات التي لها وزنها السياسي والروحي في المغرب ولها التأثير الكبير في نفوس العامة، والتي شاركت في الواقع السياسي في المغرب.

سياسة المولى زيدان

شخصية زيدان السعدي:

وهو أبو المعالي زيدان بن احمد المنصور الذهبي، بويع بالحكم في مدينة فاس بعد وفاة أبيه، وكان ذلك يوم الاثنين السادس عشر من ربيع الأول سنة 1012هـ، تتفق الكثير من المصادر التاريخية على المولى زيدان قد استعمله أبوه في حياته على أقاليم تادلا ثم مكناسة الزيتون وما جاورها ومن الأقاليم التي خضعت له بعد وفاة أبيه (فاس، مراكش والسوس، وسجلماسة)[1]

الصراعات التي كانت بين الأخوة:

هناك الكثير من المصادر التاريخية الهامة التي ذكرت أحداثا دقيقة في هذه الفترة من تاريخ المغرب الأقصى، يعد من المصادر المفقودة ولعل أهم هذه المصادر هي المجلدات التي تكمل مصنف مؤرخ الأسرة السعدية وعبد العزيز الفشتالي [2]

وكتاب اللسان المعرب عن تهافت الاسبان عن المغرب لأبي عبد الله محمد بن محمد فتحا[3]، وقد كان المولى أحمد المنصور الذهبي قد فرق عملات المغرب على أولاده كما استعمل المولى محمد المأمون على فاس والغرب ولاة لزيدان على تادلا وأعمالها واستخلف عند نهوضه الي فاس ابنه ابا فارس على مراكش وأعمالها[4]

ولما سمعت العامة من أهل الحاضرين فاس ومراكش بخبر وفاة المولى أحمد المنصور بايع الفاسيون المولى زيدان بن المنصور، ثم كتبوا لأهل مراكش بخبر مبايعتهم له وبايعوا أخاه المولى أبي فارس لأنه يخلف أباه المنصور لما يغادر عاصمته مراكش، بينما

[1]– احمد الناصري، المصدر السابق، ص145.

[2]– عبد العزيز الفشتالي، المرجع السابق، ص6.

[3]– عبد السلام بن سودة المري، **دليل المؤرخ المغرب الأقصى**، دار الفكر للطباعة والتوزيع، ط1، 1997، ص108.

[4]– أحمد الناصري، المصدر السابق، ص145.

زيدان في تادلا بعيد عنهم وعن مراكش، رفضته العامة رغم الكثير من المؤرخون يشهدون بأحقيته في الحكم وكفاءته نظرا لعلمه[1].

إن حدوث بيعتين لملكين في المغرب الأقصى من شان إثارة الكثير من أقاويل العامة، والتوتر السياسي بين الطريفين لنعلم ما الذي يكون في إخماد الفتنة بين الفاسيين والمراكشيين زيدان وأخوه أبي فارس، أو على الأقل وصلا إلى حل المواجهة العسكرية ويمنعها بينهما، ويبدو أن الوضع السياسي والدبلوماسي بين الطرفين قد وصل أشده مما جعل فقهاء فاس، وعلى رأسهم قاضي ابن أبي النعيم والمفتي أبي عبد الله القصار[2].

الفاسيين من أن يتخذ موقفا شأنه في أن ينهي الفتنة وهذا الصراع وبمحاربة طرف الأخر، فأعتبر أهل مراكش هم أول من شق عصا الجماعة في المغرب الأقصى، وكانت بيعة أبي فارس بمراكش في أواخر ربيع الأول من سنة 1012 ما يوافق 1603م[3]وفي حين كانت بيعة المولى زيدان قبل ذلك، أي بعد وفاة أحمد المنصور مباشرة.

ولقد اعتبر المولى زيدان نفسه أول ما بويع من أخواته، لذا رأى أن له الأحقية على أخواته، فنهض لمواجهة كل من يشق العصا عنه، وهذا ما جعل أبي فارس يرى بأنه يجب القضاء على زيدان في وقت مبكر قبل أن تتقوى شوكته فجهز جيشا لقتاله واتجه به إلى فاس وجعله تحت قيادة الجوذر، وفي هذه الأثناء خرج زيدان إلى قتال القائد جوذر بنفسه وهو دعم معنوي لمن يقاتل معه، وهنا بعث قائد جوذر إلى زيدان بفك قيود مع محمد الشيخ المأمون ليكون دعما معنويا هو الأخر للمقاتلين المراكشيين فتم تسريحه بشروط كثيرة [4]

---

[1]– أحمد الناصري، المصدر السابق، ص147.

[2]– محمد بن جعفر بن ادريس، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق: محمد حمزة بن علي الكنافي، ج2،ص72.

[3]– أحمد الناصري، المصدر السابق، ص147.

[4]– نفسه، ص148.

فأقتتل الجيشان بأم الربيع ولم تكن النهاية في صالح المولى زيدان ورجاله من الفاسيين، واثر انهزامه هرب إلى نواحي السويس [1] واتجه محمد المأمون إلى فاس ليقوم بعملية سياسية ستجعله على رأس حاضرة فاس [2]

حيث كانت المواجهة بينه وبين المولى زيدان بوضع يقال له "حواته" عند أم الربيع فر عن زيدان الكثير من جيشه إلى مأمون وهو السبب المباشر الذي أدى إلى هزيمة المولى زيدان، ورجع أدراجه إلى فاس وتحصن بها، ولما وقعت الهزيمة على مولى زيدان امتنع المولى محمد الشيخ المأمون عن أصحاب أخيه المولى أبي فارس معلنا العصيان وهنا اشتد شوكته واثر هذا التطور سار محمد الشيخ المأمون على فاس يطلب أخاه زيدان، ولما سمع زيدان هذا الخبر، حث الفاسيين على الوقوف إلى جانبه إلا أن الفاسيين تخوفوا من تكرار الهزيمة أم الربيع ومن بطش المأمون وهو أول أبناء المنصور من طرف الفاسيون ولما يئس المولى زيدان من إقناع الفاسيين بمحاربة المأمون هرب من فاس وتبعه الكثير من أصحاب المولى محمد المأمون، إلا انه تمكن من الهروب، بينما حاول المأمون أن يوطد حكمه في مدينة فاس، التي استقبل من طرف أهلها فدخلها دون حرب ودعا لنفسه فيها [3] وسرح جيش مراكش الذي كان معه[4]

لم يكتف المأمون بالسيطرة على إقليم فاس وماجاورها، بل كان يطمح إلى القضاء على عصبية أخيه المولى أبي فارس ليخلوا له المغرب الأقصى كله، فجهز جيشا لقتال أخيه فارس بمراكش، عدده 800ألاف وأمر عليه ولده عبد الله، فسار عبد الله إلى أن لقي عمه بمحلته[5]

[1]- أحمد الناصري، المصدر السابق، ص149.

[2]- المصدر نفسه، ص147.

[3]- محمد الوفراني، المصدر السابق، ص192.

[4]- أحمد الناصري، المصدر السابق، ص149.

[5]- نفسه، ص150.

كان دخول عبد الله بن المأمون دخول مراكش في 20شعبان سنة 1015هـ/1606م والغريب أن محمد الوفراني يذكر بأن المولى أبي فارس لما تلقى الهزيمة من قبل جيش محمد الشيخ مأمون بقيادة عبد الله بن المأمون، هرب إلى أخيه المأمون في فاس [1]هنا استسلم فارس لأمر المأمون وسلم له أمور الحكم (الملك).

كما أن المولى زيدان بن المنصور توجه إلى الجنوب المغربي يائسا لتكوين عصبية يستطيع بها محاربة أخويه أبا فارس والمأمون، فكانت وجهته تلمسان وقبل وجدة حسب الوفراني [2].

ومنها إلى درعة وسجلماسة وبعد ذلك إلى سوس وقد التفت حوله المراكشيون إلى المولى المأمون وكانوا من محاربه من سكان المغرب الأقصى، بينما خرج عبد الله فارا إلى أبيه في فاس، إلا المراكشيين من أصحاب زيدان حاصروا عبد الله بين أسوار المدينة وأمر المولى زيدان بقتل كل من تخلف من جند عبد الله من الفارسيين[3].

وفر عبد الله بن محمد إلى أبيه مهزوم ونجا بنفسه من المذبحة التي دبرها عمه زيدان الذي قتل 5500 فرد [4]وهذا ماثار فارس على المأمون وابنه عبد الله، لمقتل عدد الكبير من إخوانهم الفاسيين في مراكش، فأراد المأمون أن يرد اعتبارهم بغزو مراكش مرة أخرى، الا أن الأموال تنقصه، فاستحى أن يستلف من كبار التجار مدين لهم في حروب مضت، وكانت هذه المعركة في شعبان 1016هـ/1607م يقودها عبد الله بن المأمون، واشتبكت جيوش هذا الأخير مع جيوش المولى زيدان، وقد كان عبد الله بن المأمون لم يتوقف على أن يدخل مراكش وإخضاعها وطرد عمه زيدان منها، فستعد أهلها إلى الدفاع عن مدينتهم وكان عددهم 36000 مقاتل، وتقاتل الطرفان في موضع يقال رأس العين، وانهزم المراكشيون مرة أخرى،

[1]- محمد الصغير الوفراني، المصدر السابق، ص 204.

[2]- نفسه، ص192.

[3]- أحمد الناصري، المصدر السابق، ص30.

[4]- محمد الصغير الوفراني، مصدر السابق، ص194-195.

وهنا تمكن عبد الله بن المأمون من دخول المدينة من جديد، إلا أن زيدان اتجه ناجيا بحياته إلى الجبال الممتنعة[1].

كان المأمون قبيح السيرة سيء الأخلاق أكثر بالإساءة للعامة والخاصة وأنكرت سياسته وهو الأمر الذي سهل للمولى زيدان إلى مراكش برضا أهلها، وبعد عودة المولى زيدان إلى مراكش تخوف محمد الشيخ من تعاطف فبعث له ابنه مرة ثالثة وفي تاريخ ذي الحجة 1016هـ/1607م فكانت مرة أخرى على عبد الله ومن معه من الفاسيين، فهرب عبد الله بن المأمون تاركا ورائه كاملا لمحلة وعدد كثير من الفاسيين الذين رضخو إلى المولى زيدان فعفا عنهم زيدان وجعل من زيدان يكبر في أعين الفاسيين.

وهذا التطور الذي حصل جعل من المولى محمد بن المنصور ف موقف صعب، نتيجة تراجع شعبيته في مراكش وفاس وهذا نتيجة الهزائم التي تولاها ابنه عبد الله في مراكش وخاصة بعدما سئمت العامة من تصرفات جيش المأمون وقد ذكر الوفراني بأن جيش عبد الله لما خرج مهزوما من موقعة وادي بوركراك ترك معظم محلته.

وهذه التطورات جعلت من الثلاثة –المأمون –أبي فارس وعبد الله يتخلون عن فاس ويتوجهون إلى القصر الكبير ومنه إلى العرائش[2].

بعد أن هدأت أحوال مراكش ولاحت بوادر استقرار لمولى زيدان كملك جديد لها، أمر هذا الأخير مصطفى العلج باشا بالتوجه إلى فاس فدخلها بدون حرب[3].

ويلتقي الطرفان إلا بعد أن توجه عبد الله وأبي فارس إلى فاس فخرج لهما العلج، فأقتتل الطرفان وقتل مصطفى باشا وأخذت محلته ووقع النهب فيها في أثناء دخل عبد الله وعمه أبي فارس المدينة في السابع من ربيع الثاني 1018هـ/1611م.[4]

---

[1]– محمد الصغير الوفراني، المصدر السابق، ص194–195.

[2]– نفسه، ص197.

[3] –Mercier(Ernest) ,histoire du marouc.Opcit ,P186.

[4]– محمد الصغير الوفراني، المصدر السابق، ص 197.

بعدان خلص لأبي فارس وعبد الله بن المأمون شأن فاس، اتفقت طائفة الشراقة من أهل فاس على إبعاد عبد الله ومبايعة أبي فارس .

أما عن نهاية محمد الشيخ المأمون فقد كانت بتطوان في شمال المغرب ولعل أهم هذه الثروات التي كانت يجمعها المقدم أحمد النقسيس، ولا مقدم أبو الليف، وتركت حثة المأمون على الأرض من دون دفن إلا بعد أيام، فدفنه بعض التطوانيين، وكان ذلك سنة 1022هـ /1613 من خلال هذه المظاهر تعكس تلاشي وضعف الحكم والحكام وكثرة المكائد التي كانت تدبر من طرف السلاطين، ومن بعض أفراد الأسرة الحاكمة [1].

[1]– أحمد الناصري، المصدر السابق، 163.

الفصل الثاني
الزاوية الدلائية

1-لمحة عن عصر الدلائيون:

تسلم الشرفاء السعديون عرش المغرب خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجري (القرن16م) فانتعشت به الآمال، وبدأ استرداد الثغور التي سبق أن استولى عليها الأوروبيون وعرف المغرب في أيام واسطة عقد هذه الدولة أحمد المنصور الذهبي (986-1012 /1578-1603) عهد استقرار وازدهار في السياسة الداخلية والخارجية على السواء ، إذ كان من نتائج معركة وادي المخازن الشهيرة في عام 1578/986 والانتصار المغربي على البرتغاليين، أن طارت للبلاد شهرة في جميع الأقطار، أخذت معها الدول الأجنبية تخطب ود عاهل مراكش وتتقرب إليه بالسفارات والهدايا، رغبة في ربط أواصر الصداقة معه كما تناقل الناس في الداخل أخبار هذه المعركة الفاصلة وأحاطوا شخصية بطلها المنصور بهالة من التقدير والإجلال، وازدادت منزلة أحمد المنصور رفعة في أعين الشعب بعد أن احتلت جيوشه بلاد السودان في مطلع القرن الحادي عشر للهجرة (أواخر القرن السادس عشر للميلاد) وتدفقت منها على المغرب سيول الذهب الرقيق، ذلك إلى ما كان عليه هذا الملك العظيم من الحزم والحرص على حفظ النظام وعدم التردد في إنزال أقسى العقوبات بالمشاغبين الذين يسعون في الأرض فسادا.[1]

فانتشر الأمن في البلاد، وعاش الناس في دعة وطمأنينة، وأخذوا يتنقلون من أقصى المملكة إلى أقصاها دون أن يعترض طريقهم أحد أو يلحق أموالهم أو أمتعتهم ضياع .

غير أنه لم تكد تخمد أنفاس المنصور الذهبي عام 1603/1012 حتى انقلبت الأحوال في المغرب وظهرت في الجو سحب الفتنة والاضطرابات[2] . فقد كانت وفاة المنصور فجأة وهو يتهيأ للخروج من فاس ليعود إلى عاصمة ملكه مراكش، فأصيب بالوباء الذي أخذ يكتسح إذ ذاك أطراف البلاد، ولم يكن قد بتّ بعد في أمر ولاية العهد بعد أن ثار عليه ولده البكر محمد الشيخ المأمون خليفته بفاس وولي عهده السابق، فقبض عليه وأودعه السجن .

[1] - **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، ط2، محمد حجي، 1409-1988، ص122.

[2] - محمد الطيب القادري، ج3، مصدر سابق، ص121.

وقد بادر أهل فاس إلى مبايعة زيدان بن المنصور بمجرد ما انتهوا من دفن الملك الراحل . وكان زيدان عاملا على إقليم تادلا، استصحبه أبوه معه الى فاس ثم استخلفه عليها قبيل وفاته، ولما بلغ خبر الوفاة والبيعة إلى مراكش ثارة ثائرة أهلها ورأوا في تصرف الفاسيين واستبدادهم بالأمر دونهم استخفافا بشأنهم فبايعوا أبا فارس ابن المنصور لأنه كان الخليفة الرسمي لوالده بحاضرة ملكه . وبدلا من أن يسعى ذوو المكانة والنفوذ في تلافي الأمر وحل المشكل تسرع علماء فاس فأفتوا بوجوب قتال المراكشيين عملا بحديث إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما . والتقى جيشا الملكين الأخوين على ضفة نهر أم الربيع، وكان أبو فاس لم يحضر القتال بنفسه وإنما أناب عنه أخاه الشيخ المأمون بعد أن اخرجه من السجن . واسفرت المعركة عن انهزام زيدان وفراره إلى تلمسان، وجد المامون نفسه في عزة ومنعة، بعد أن انضم اليه جند أخيه المهزوم فقلب ظهر المجن لأبي فارس وأعلن نفسه ملكا على فاس

ظل الإخوة الثلاثة زيدان، وأبو فارس، والشيخ المامون يتنازعون الملك مدة طويلة، دون أن يتم الأمر لواحد منهم،وعمت الاضطرابات أرجاء البلاد كلها، وانتهى أمر الشييخ المامون بتسليمه مدينة العرائش إلى الاسبانيين عام 1610/1019 طمعا في مساعدتهم له، فغضب عليه الشعب وقتله في ضواحي تطوان عام 1613/1022. كما قتل أخوه أبو فارس خنقا قبله وقبع زيدان أخيرا في مراكش صارفا نظره عما وراء نهر أم الربيع، تاركا أمر فاس وغيرها لعبد الله بن الشيخ المامون ومنافسيه من الثوار . وقد انقرض أمر السعديين في فاس بموت عبد الملك بن الشيخ المامون في أواخر عام 1627/1036 [1] وبقى أبناء زيدان يتوارثون امارة مراكش إلى أن قتل آخرهم أبو العباس أحمد بن الشيخ بن زيدان عام 1069هـ/1658م

[1]– تولى الشيخ المامون إمارة فارس في فترات متقطعة إلى أن قتل عام 1613/1022 وتولى من بعده ابنه عبد الله كذلك إلى أن توفي عام 1623/1032 ثم عبد الملك بن المامون توفي في اواخر عام 1627/1036 وقد دخل بعد ذلك الى فاس أحمد بن زيدان السعدي وادعى الامارة فلم يتم له الأمر، احمد الناصري، المصدر السابق، ج6، ص85.

قد شهدت الزاوية في بداية عهدها العصر الذهبي للسعديين، ثم ادركت زمن الفتنة والتدهور غير أن موقعها الجغرافي داخل جبال الأطلس ومكانة رجالها الصالحين استطاعت أن تحتضن الثقافة الإسلامية في عصر عصفت فيه الإضطرابات بالمراكز العالمية التقليدية مثل فاس ومراكش وعمرت الزاوية الدلائية زهاء قرن ظلت فيه مركز اشعاع للعلوم الدينية[1]

أ-مفهوم الزاوية الدلائية:

يؤكد محمد حجي أن الزاوية لم تظهر في تاريخ المسلمين كمركز ديني [2]وعلمي الا بعد الرباط والرابطة

والرباط لغة: مصدر رابط يرابط بمعنى أقام ولازم المكان ويطلق في اصطلاح الفقهاء والصوفية على شيئين: أولهما البقعة التي يجتمع فيها المجاهدين لحراسة البلاد ورد هجوم العدو عنها، والثاني عبارة عن المكان الذي يلتقي فيه صالحوا المؤمنين لعبادة الله وذكره والتفقه في الأمور الدينية . وجاء في القرآن الكريم[3] **(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ).**

و يقول تعالى: << **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**[4]>>

اما الزاوية فهي عبارة عن مكان معد للعبادة وإيواء المحتاجين وإطعامهم وتمسى في الشرق "خانقاة" وهو لفظة أعجمي يؤكد ذلك قول البوسي: "إن الزاوية المشتهر أسمها اليوم عند أهل الطريق من إطعام المساكين والوافدين حتى صارت عند العوام كأنها من الفروض أو الشروط لا يعلم لها من حيث خصوصها أهل ولا يجري لها ذكر في الكتاب والسنة وإنما مرجعها الى القرى وإكرام الضيف"[5].

---

[1]- عبد الله كنون، مقال المغربي المطبعة المهدية بتطوان، بدون تاريخ.

[2]- محمد حجي، المرجع السابق، ص 21

[3]- سورة الأنفال، الآية 60.

[4]- سورة أل عمران، الآية 200.

[5] - محمد حجي، المرجع السابق، ص 21 .

وقيل في تعريف الزاوية أنها مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة ولم تعرف الزاوية في المغرب إلا بعد القرن الخامس الهجري وسمت في بادي الأمر دار الكرامة حيث شكلت نقطة تحول في دور الزاوية بالمغرب فالهزيمة التي تلقاها المسلمون بالأندلس على يد الناصري واحتلال بعض الثغور المغربية جعل الزاوية تتدخل في شؤون البلاد السياسية بدعوتها إلى الجهاد في فترة مقاومة الإحتلال الأجنبي وبهذا تأسست الزاوية . [1]

تأسيس الزاوية الدلائية:

لايعرف بالضبط متى أسست الزاوية الدلائية، غير انه يمكن الإطمئنان إلى القول أن تأسيسها كان في الثلث الأخير من القرن العاشر الهجري حوالي عام (974هـ/1566م)[2] ويرجع تأسيسها إلى الشيخ ابي بكر بن محمد بن سعيد الدلائي بإشارة من شيخه عمر القسطلي (974هـ) لذلك تدعى أيضا الزاوية البكرية نسبة إلى مؤسسها [3]

موقعها:

لقد وقع اضطراب في تحديد_موقع الزاوية بسبب تخريبها وانطماس معالمها، فأشار اليها بعض المؤرخين اشارات عامة كقولهم أنها تقع في ثلاث مراحل من قاس بين بكسورة وتادلة وقال البعض الآخر لا يعرف بالضبع وقع هذه الزاوية الآن، وانما المحقق أنها تقع بناحية وادي أم الربيع قريبا من تادلة ولعلنا لا نخطئ إذ أن بعض الدلائيين بنسب المنساوي وظل الغموض سيد الموقف إلى أن جاء محمد حجي الذي أكد أن هناك زاويتين قديمة وحديثة لاتزال اطلالها قائمة الذات مائلة للعيان حتى اليوم، ويعرف سكان ناحية خنيفرة الزاوية القديمة باسم (آيت يدلا) أي اهل الدلاء وتقع الزاوية الدلائية القديمة التي اسسها أبوبرلا الدلائي على ربوة في سفح جبيل (بوثور) بينه وبين جبل (تاغوليت) وتنفجر في

[1]– محمد حجي، المرجع السابق ص 21.

[2]– عبد السلام بن الطيب القادري، **نزهة الفكر مناقب الشيخين سيدي محمد وأبي بكر** الذي اعتمد عليه صاحب البدور الضاوية، ص 7 .

[3] – احمد الناصري، المرجع السابق، ص96.

شرقيها شعبة (اقاايزام) أي شعبة الأسد أما الزاوية الدلائية الحديثة التي بناها السلطان محمد الحاج الدلائي فهي التي تقوم على أنقاضها زاوية آيت إسحاق الحالية، في الطريق التي تربط بين خنيفرة وقصبة تادلا[1]

2- موقف الدلائيين من الاضطرابات الداخلية

أ/ علاقة الدلائيين بالملوك السعديين

لم يكن الدلائيون في باديء الأمر يهتمون إلا بالناحيتين الدينية والعلمية فالشيخ أبو بكر مؤسس الزاوية الدلائية كان زاهدا في الدنيا عزوفا عنها لا يشتغل حتى بتدابيره الخاصة ولا ينصرف عن عبادته وأذكاره إلاّ ليرشد مريديه ويعظهم ويذكرّهم . وسار محمد بن أبي بكر الدلائي على نهج والده في الأعراض عن الدنيا وخوفها والانقطاع إلى عبادة الله وتربية المريدين وتدريس العلم للطلبة المقيمين بالزاوية، وإكرام الوفود والإحسان إلى الناس جميعا . وظل يعترف بسلطة السعديين ملوك مراكش، حتى بعد أن مزقت الحوادث شملهم وبدا عجزهم وقلة كفايتهم، وآخر من بايع منهم الوليد بن زيدان بن أحمد المنصور (1040/ 1631-1045/1636)

وعلى الرغم مما كان لمحمد بن أبي بكر الدلائي من نفوذ قوي لدى القبائل البربرية في الأطلس المتوسط، وما امتاز به بعض أبنائه من شجاعة وفروسية وما آتاه الله من بسطة في العلم والمال والجاه، على الرغم من ذلك كله لم يحاول ابن أبي بكر قط استغلال الإمكانيات الواسعة التي لم تتح لغيرة ليدلي بدلوه في بحر السياسة والسلطان، وإنما كان يدعو إلى السمع والطاعة، والتمسك بالوحدة ولزوم الجماعة . وطالما ندد بما كان يشعر به عند بعض بنيه من الزهو وحب الرياسة، وعاش محمد بن أبي بكر الدلائي أربعا وثلاثين سنة من عهد الفوضى والاضطراب (1012-1046/ 1603-1636) الناتج عن تصدع السلطة المركزية وانقسامها وعجزها عن حفظ النظام في البلاد، خصوصا في الأطراف

[1] - عبد الله كنون، المرجع السابق، ص 296

والجبال. وكان برابرة الأطلس خلال هذه الفترة يلتفون حول شيخ الدلاء لما يعرفون من صلاح الحال وطهارة النفس ورحابة الصدر، ورعيا كذلك لعصبيته القوية، إذ كان رهطه محاط في ذروة تلك القبائل شدة بأس وصعوبة مراس. وهكذا نجد محمد بن أبي بكر الدلائي حكما يختصم إليه قومه، وملجأ يهرع إليه المستضعفون من جيرانه، فلا يألوا جهدا في إصلاح ذات البين والعمل على إنصاف المظلومين،ساعيا دائما في الخير والسداد، داعيا إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة .وقد عرفنا مما سب انه اضطر مرة الى الهجرة من الدلاء إلى قرية تاغيا بناحية ميدلت عندما اشتد عناد بعض القبائل الطاغية، وتألبت على اذايته والكيد له .

وفي هذه الظروف التي لم يبقى فيها لسلطة السعديين في جبال الأطلس وبلاد تادلا إلا الاسم كان لابد من وجود قوة محلية في هذه النواحي تعمل على حفظ النظام وتأمين السبل وحماية القوافل، فتكون في الدلاء جيش قوي من فرسان مجاط وأيت إسحاق وغيرهما من القبائل البربرية بقيادة ثلاثة من أبناء الشيخ محمد بن أبي بكر، اشتهروا بالشجاعة والإقدام وهم: عبد الخالق، وعمر، ومحمد الحاج[1]

ولم تقتصر تحركات هذا الجيش على العمل في النطاق المحلي المحدود، بل ذهب بعيدا عن الدلاء، فسار إلى سلا وفارس لمساعدة المجاهد العياشي في القضاء على بعض الفتن الداخلية . كما توجه إلى تافيلالت لإنجاد أهل قرية تابوعصامت والوقوف في وجه الجيوش السوسية مما سنراه مفصلا في فصل آت . وسيكون هذا الجيش الدلائي السند

[1]–عبد الخالق الدلائي عالم أديب وبطل مغوار، وهو أول رئيس من الدلائيين قتله أعراب تادلا عدرا عندما كان راجعا من حركة تأديبية قام بها ضد أعراب الشاوية ببلاد تامسنا عام 1649/1059 وحمل الى الزاوية البكرية فدفن فيها، واخوه عمر أديب شاعر وشجاع باسل كذلك درس بالزاوية البكرية وقاد الجيوش الا أن مات في أثناء قتاله ضد الحياحنة بضواحي فاس عام 1645/1055 وحمل مصبرا وقيل جريحا ثم مات ودفن بالدلاء اما محمد الحاج فستأتي ترجمته بشيء من التفصيل، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص184.

الأول الذي يعتمد عليه محمد الحاج بعد وفاة والده لإقامة إمارة دلائية مستقلة عن نظر السعديين [1]

ب/ موقف الدلائيين من ابي محلي وأبي زكريا الحاحي

أبو محلي أو ابن أبي محلي (بفتح الميم وكسرا للام المشددة) هو أبو العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي،كان يزعم أنه من نسل العباسيين، انتقل أبو محلي في مقتبل العمر إلى فاس لطلب العلم، وتخلف عن المجاهدين الذين سارعوا إلى لقاء العدو على وادي المخازن فارا إلى البادية يحفظ المتون ويتسكع بين الخيام إلى أن خمدت الفتنه وسكنت بانتصار المسلمين، فرجع إلى فاس وأقام فيها سنين عديدة إلى أن تخرج منها عالما متبحرا في اللغة والمسائل الدينية بالخصوص، وألف أبو محلي عدة كتب كلها تحوم كلها حول البدع والمنكرات. ويمكننا أن نأخذ فكرة صغيرة عن هذا الرجل من عناوين كتبه قبل أن نقرأها – انظر جدول مؤلفات أبي محلي– ويمتاز بشدة التحامل على المبتدعين والمنحرفين عن الدين، فينعتهم بأقبح النعوت، ويدعوهم بالجهلة والسفلة، ولا يرى إلا شدخ رؤوسهم بالمهراس والمدارس والمنجنيق، وتقطيع أمعاءهم بالسم الزعاف[2].

وقد سلك أبو محلي طريق التصوف،وصحب الشيخ محمد بن مبارك الزعري المتقدم، وبقي عنده في تستاوت نحو ثماني عشرة سنة. وكانت تعتريه عند شيخه أخوال، فيصبح قائلا: ﴿أنا سلطان! أنا سلطان﴾ فيقول له الشيخ ﴿انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾ [3].

وبعد أن أقام أبو محلي مده في الزاويه الدلائيه، اتجه إلى وادي الساورة في الصحراء وادعى انه المهدي المنتظر، وبدا يكاتب رؤساء القبائل يأمرهم بالتمسك بالدين والسنة، وينهاهم عن المنكرات والبدع. ولما سلم الشيخ المأمون السعدي مدينة العرائش إلى

[1]– محمد حجي، المرجع السابق، ص 142

[2]– محمد حاجي، المرجع السابق، ص21

[3]– عبد السلام بن سودة، دليل مؤرخي المغرب الاقصى، ص210.

الاسبانيين عام 1019/1610، أظهر ابن أبي محلي الغضب والحمية للدين ودعا الناس للجهاد، فاجتمعت عليه العامة، وتقدم بهم إلى سجلماسة فملكها، ثم استولى على بلاد درعة، وقصد مراكش فاقتحمها عنوة وطرد ملكها زيدان بن المنصور الذهبي . ولما دخل أبو محلي قصر الخلافة بمراكش فعل فيه ما شاء، وولد له هناك مولود سماه زيدان. ويقال إنه تزوج أم زيدان وبني بها، ودبت في رأسه نشوة الملك، ونسي ما بني عليه أمره من الحسبة والنسب[1] وبالرغم من كون فتنة ابن أبي محلي لم تدم إلا نحو ثلاث سنوات.

ولعل لمسارعة أبي محلي إلى ضرب السكة باسمه يذكر عنه المؤرخون من أنه اشتغل بالكيمياء وتحويل المعادن ﴿فكان صاحب حكمة لم تنقطع النار في جيشه لتذويب الرصاص وصبغته[2]﴾ وقد توجه السلطان الطريد زيدان إلى زاوية الشيخ الحاحي بجبل درن ورجا منه ان يساعده على الرجوع إلى عاصمة ملكه، والقضاء على منافسة أبي محلي. فسار أبو زكريا إلى مراكش، حيث التقى بخصمه في جليز خارجها . ووقعت بين الفريقين معركة حامية الوطيس أسفرت عن مقتل إبن أبي محلي الذي احتز رأسه وعلق على سور مراكش مع رؤوس جماعة من أصحابه طيلة 12 سنة .

ولعل أهم صلة جمعت بين الدلائيين وابن أبي محلي هي الطريقة الصوفية الشاذلية، إذا أخذ كل من محمد بن أبي بكر الدلائي وابن أبي محلي عن الشيخ محمد بن مبارك الزعري المتقدم، وأقاما مدة في زاوية هذا الشيخ بتستاورت. وبعد ذلك استقر ابن أبي محلي في الزاوية الدلائية زمانا غير قصير بدأ خلاله يحاول التظاهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنه كان يلقي معارضة قوية من شيخ الدلاء الذي لم تخف عليه نوايا صاحبة القديم ذي الشطحات والصيحات الهستيرية «أنا سلطان!» وتحدى ابن أبي محلي ذات يوم الشيخ محمد بن أبي بكر، وقام في الدلاء بتجربته الأولى في الاتصال بالجمهور والعمل على إغوائه واستهوائه عن طريق الإرشاد الديني المزيف، وقضى يوما في التهريج والشعوذة،

[1]– أحمد الناصري، المصدر السابق، ج6، ص6.

[2]– مؤلف مجهول، المرجع السابق، ص 101

واشتبك مع بعض الناس الذين لم تنطل عليهم حيلته، ورجع في المساء إلى الزاوية الدلائية منهوك القوى لم يؤيد الصلاة في وقتها، فنفعه الشيخ ابن أبي بكر وقال له «أما أنا فقد قضيت مأربي وحفضت ديني، وانقلبت في سلامة وصفاء، ومن أتى منكرا فالله حسيبه، أو نحو هذا الكلام. وأما أنت فانظر ما الذي وقعت فيه»[1].

ولم يرعو ابن أبي محلي عن غيره بل راح يضرب في الأرض باحثا عن مكان صالح لنشر دعوته الباطلة، حتى وصل إلى وادي الساورة في الصحراء، فأعلن مهدويته، وكان ذلك آخر عهد له بالدلائيين الى أن قتل في مراكش بعد نحو ثلاث سنوات.

أما أبو زكرياء فهو يحي بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي. أسس والده عبد الله بن سعيد زاوية تافيلالت [2]ببدرعة الواقعة شمالي تارودانت على واد يسميه البربر(أسيف نتامنت) أي وادي العسل، واشتغل فيها بتدريس العلم وتربية المريدين، وكان مثل أبيه سعيد عالما مصلحا أرسل ابنه يحي إلى فاس ليدرس فيها، وطالت إقامة يحي بفاس سنين عديدة، كان يسكن خلالها هو وابن أبي محلي بيتا واحدا في إحدى المدارس، وحصل على نصيب وافر من العلوم الدينية والأدبية، ورجع إلى قريته الجبلية عالما كبيرا، وأديبا شاعرا[3]ليتولى أمر الزاوية بعد وفاة أبيه عبد الله عام 1012/1603-1604. وقد سلك أبو زكريا في بداية الأمر سبيل سلفه، فوقع عليه إقبال عظيم من قبائل جبل درن وبلاد سوس، وامتلأت رحاب زاويته بالمريدين وطلبة العلم الذين انكبوا على دروسه واشتغلوا بانتساخ الكتب القيمة[4] وألف أبو زكريا كتابا في العقائد، مثلما فعل جده سعيد من قبل.

---

[1]-محمد حاجي، المرجع السابق، ص 91.

[2]- محمد المختار السوسي، خلال جزولة، ج 2، ص، 51، وقد أخبرني الأستاذ المختار السوسي أن اسم تافيلالت يطلق عن أماكن متعددة في سوس.

[3]- ذكر المؤرخون أنه وقع تهاج كثير بين أبي زكريا وأبي محلي أبى الناصري في الاستقصاء، 6 29-34 نماذج لهذه النقائض الأدبية.

[4]- وقف الأستاذ المختار السوسي في إحدى المكتبات الخاصة بسوس على بعض المخطوطات القيمة التي انتسخت في زاوية تافيلات على عهد أبي زكريا،انظر خلال جزولة 2، 51.

وشرح العقيدتين معا وعقيدة المهدي بن تومرت العالم السوسي إبورك من رجال القرن الحادي عشر للهجرة (القرن السابع عشر للميلاد).

وقد رأينا أن أبا زكريا استجاب لطلب الملك زيدان السعدي وقضى على خصمه ابن أبي محلي. وظل أبو زكريا مقيما بمراكش في حين كان السلطان زيدان في أسفي ينتظر على أحر من الجمر أوبة السوسيين إلى مساقط رؤوسهم ليرجع هو إلى دار ملكه. وطال به الانتظار فكتب إلى أبي زكريا «أما بعد، فان كنت إنما جئت لنصرتي وكف يد ذلك الثائر عني فقد أبلغت المراد، وشفيت الفؤاد، وان كنت إنما رمت أن تجر النار لقرصك، وتجعل الملك من قنصك، فأقر الله عينك»[1] فاضطر أبو زكرياء إلى مغادرة مراكش تحت ضغط أتباعه الذين لم يكونوا يعرفون إلا أنهم أدوا واجبا دينيا فرضته عليهم بيعة السلطان التي في أعناقهم، وليس لهم بعد ذلك إلا الرجوع إلى الزاوية واستيناف حياتهم العادية في المداشر التي طالت غيبتهم عنها. واستولت فكرة الرياسة على نفس أبي زكريا بعد رجوعه من مراكش وفترت همته في تدريس العلم وتلقينالأوراد، واخذ يراسل السلطان زيدان ويمن عليه بمناصرته، ويتجنى كثيرا دون أن يفصح عما يجول بخاطره، وأخيرا أعلن أبوزكريا الثورة في سوس ضد السلطان زيدان السعدي[2].

د) علاقة الدلائيين بالمجاهد العياشي:

المجاهد العياشي هو محمد(بفتح الميم) بن أحمد المالكي الزياني(بفتح الزاي وتشديد الياء) العياشي السلاوي. أصله من قبيلة بني مالك بن زغبة من العرب الهلالية المستوطنة في بلاد الغرب، وفصيلته القربى بنو زيان القاطنون اليوم بأحد أولاد جلول بدائرتي القنيطرة وسوق أربعاء الغرب. كان العياشي من أخص تلاميذ الشيخ عبد الله بن حسون الذي أشار عليه بالجهاد في سبيل الله. بدأ يظهر على مسرح السياسة في أوائل العقد الثاني من القرن الحادي عشر للهجرة(أوائل القرن 17 ميلادي) كمجاهد متطوع في بلاد دكالة يرابط فيها

[1]- أحمد الناصري، المصدر السابق،ج6، ص، 43.

[2]- نفسه، ص، 46.

لقتال البرتغاليين في الجديدة. وبلغ خبر تضييقه على النصارى المحتلين وانتصاره على جيوشهم في وقائع حربية متعددة إلى بلاط السعديين بمراكش، فكافؤوه بعمالة مدينة آزمور[1]، ليظل شوكة في جنب البرتغاليين يقض مضجعهم ويبعث في قلوبهم الرعب والهلع. وتضايق البرتغاليون كثيرا من حركات العياشي ومرابطته الدائمة حول المنطقة التي يحتلونها، فعمدوا الى المكر والخديعة، واشتروا ضمائر حاشية السلطان زيدان بهدايا ثمينة. ونجحت المؤامرة الدنيئة. فجهز زيدان سرية قوية وجهها إلى مدينة آزمور للقبض على العامل وقتله. لكن قائد السرية محمد السنوسي الذي كان على علم بجلية الأمر بعث إلى المجاهد العياشي خفية أن ينجو بنفسهن وأفسح له المجال للخروج إلى مسقط رأسه. ورجع العياش إلى سلا عام 1023/1614-1615 فوجد الاسبانيين قد احتلوا ثغر المعمورة[2]، قبل ذلك بسنة، وعاثوا في ضواحيه فسادا. وكان السلويون استغاثوا بالسلطان زيدان، ووفد جماعة منهم عليه بمراكش طلبا للنجدة والمعونة. «فصار يوعدهم (كذا) بالنصرة وهو يهزأ بهم إلى أن خرجت له هدية عظيمة من عند النصارى من البريجة ودفعوها له، فانصرفوا راجعين إلى بلادهم، وأخذوا في العدة والحزم والعسة على الأسوار...»[3]، وهكذا اضطر السلويون إلى الاعتماد على أنفسهم في مدافعة العدو النازل بأبواب مدينتهم، وقدموا عليهم المجاهد محمد العياشي وبايعوه على الجهاد وإقامة الحدود، وكتبوا بذلك وثيقة أمضاها سكان المدن والقرى من بلاد تامسنا الى تازا، ووافق عليها فقهاء الوقت وقضاته، وبذلك نصب العياشي أميرا للمجاهدين في سلا وسائر بلاد المغرب، وامتد نفوذه فشمل تطوان وأقاليم الشمال، واتسع نطاق العمل أمامه فصار ينتقل في حركاته الجهادية بين المعمورة، والعرائش، وطنجة، وسبتة، ومليلية، والجديدة، ويقارع في حملات موفقة المحتلين الاسبانيين والبرتغاليين، واجه العياش يفي نفس الوقت صعوبات داخلية متعددة، منها ماكان ناتجا عن التمرد المعتاد لبعض القبائل ونزوعهم

[1]- محمد الصغير، مصدر سابق، ج 2، ص، 22وما بعدها.

[2]- ثغر المعمورة، ويسمى أيضا المهدية وحلق سبو، يقع شمال مدينة سلا على مصب نهر سبو.

[3]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 103.

إلى الإغارة والسلب والنهب وقطع السبل لإثارة الشغب والاضطراب انسياقا مع تيار الأحقاد والضغائن. وكثيرا ما تعرضت فاس لغارات قبائل شراكة والحياينة، وتوجه العياشي إلى عين المكان لكف المعتدين وزجرهم، وكان بعض رؤساء قبائل الغرب ينافسون العياشي ويحسدونه على ما يتمتع به من نفوذ وشفوف، بالرغم من وشائج القربى الذري تربطهم وإياه، وقد استطاع العياشي أن يتغلب على جميع الصعاب ويسير في خطته الجهادية قدما، فيصول ويجول ويرعب المحتلين ويدفعهم إلى أن يقبعوا وراء أسوار المدن التي يحتلونها، ولا يبرحوها إلا نادرا.[1]

على أن هناك طائفة أخرى من خصوم العياشي كانت أعظم خطرا عليه وأكثر ضررا. وهي جماعة من الفقهاء النفعيين الذين كان يحركهم البلاط السعدي بمراكش ليفسد على العياشي خطته، ويصرف الناس عنه بعد أن فشل في القضاء عليه بأزمور، أخذ هؤلاء المتفقهون ينشرون بين الناس أن الجهاد لا يجوز إلا مع وجود الإمام وبإذن منه، فتصدى لدحض هذه المزاعم علماء ذلك العصر وفي مقدمتهم محمد العربي الفاسي الذي أصدر فتوى مطولة في الموضوع، اشتملت على خمس مسائل، ومما جاء فيها فيما يخص الإمام وإذنه قوله «لا يتوقف وجوب الجهاد على وجود الإمام ولا على إذنه في الجملة، وذلك شرط كمال لا شرط وجوب. ومن المعلوم الواضح أن الجهاد مقصد بالنسبة إلى الإمامة التي هي وسيلة له لكونه في غالب العادة لا يحصل على الكمال إلا بها، فإذا أمكن حصوله دونها لم يبق معنى لتوقفه عليها، فكيف نترك المقاصد الممكنة، لفقد الوسائل المتعذرة؟ ومن المعلوم في الفقه أن جماعة المسلمين تتنزل منزلة السلطان إذا عدم السلطان. وما مهذى به بعض الألسنة في هذه الأزمنة من أنه لا يجوز الجهاد لفقد الإمام وإذنه، فكلمة أوحاها شيطان الجن إلى شيطان الإنس وقرها في أذنه، ثم ألقاها على لسانه، في زخارف هذيانه، إغواء للعباد وتثبيطا عن الجهاد، وحسبك فيمن يقول ذلك أنه من أعوان الشيطان، وإخوانه الممدين

[1]– مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 104.

في الغي والطغيان. والذي تشهد به الأدلة أن الجهاد الآن أعظم أجرا من الجهاد مع الإمام، لأن القيام به الآن عسير...»[1].

خرست ألسنة المشاغبين مدة، وتبين للناس تدجيلهم وتلاعبهم بالدين، لكنهم عاودوا الكرة مرة أخرى واستغلوا فرصة نشوب الخلاف والقتال بين العياشي والأندلسيين المقيمين في الرباط والقصبة، فركزوا دعومهم هذه المرة على أن العياشي طامع في الملك يدعو الناس لدخول في طاعته ويقاتلهم على ذلك، مضيفين حلة الجهاد والقداسة على خصومه الأندلسيين، معللين مهادنة السلطان السعدي للنصارى بأنها ضرورة اقتضتها الظروف ليمون بواسطة سفنهم الحربية قصبة الرباط المحاصرة من طرف العياشي. وكان الذي تصدى للإفتاء في ذلك هو أبو مهدي عيسى السكتاني قاضي الجماعة بمراكش[2] فأسهب في الكلام. ومما قاله في العياشي «..إن حاصل أمر هذا الرجل المسؤول عنه أنه خلط عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليه أن الله غفور رحيم، أما جهاده ورباطه وحراسته ونسكه فنعما هين وأما مقاتلته للمسلمين وعدم اكتراثه بدمائهم واعتقاده حليتها، ومحاصرته لسكان الثغر وإفساده بلادهم التي هي في نحر العدو، وحل نظامهم والسعي في ضعفها وإخلائها من عمالها فمن الشرع والدين والصواب فيها بمعزل..»[3] ولسنا بصدد البحث عن تاريخ العياشي لندرس بتفصيل موقفه من مهاجري الأندلس، ونناقش أقوال خصومه ومزاعمهم. على انه بالرغم من نبل مقصد المجاهد السلوي، وثبوت استقامته وصلاحه بإجماع كل من تعرض لإخباره من المؤرخين، يبدوا أنه اشتط قليلا في القساوة التي عامل بها المورسكيين وليته غض الطرف عن هفواتهم- مهما كانت عظيمة- وتركهم ولو إلى حين على ما

[1]- عبد العزيز الزياتي، **الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة**، ط1، الرباط، ص 122.

[2]- الشيخ أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني أستاذ الحسن اليوسي صاحب الحاشية على شرح العقيدة الصغرى للسنوسي، كان قاضيا بتارودانت الى أن استولى عليها أبو زكريا الحاحي، فالتحق بمراكش حيث سماه عبد المالك بن زيدان السعدي قاضي الجماعة، وظل في عمله إلى أن توفي بمراكش عام 1040/1630-1631. احمد الناصري،ج6،ص170

[3]- عبد العزيز الزياتي، المرجع السابق، ص 126.

يرومون من استقلال في مدينتهم، وعمل على إيلافهم واجتذاب أفئدتهم، وتعويدهم الاشتراك في المجتمع الجديد الذي انتقلوا إليه.

وقد سبق لمحمد بن أبي بكر الدلائي أن تعرف على المجاهد محمد العياشي في مدينة سلا عند الشيخ عبد الله بن حسون، فتوطدت عرى الصداقة والمحبة بين الرجلين، وظلا يذكران طوال حياتهما صفاء المنبع الصوفي الفياض الذي كرعا منه معا، ويتبادلان في شتى المناسبات رسائل تبدوا فيها الصراحة والثقة والتقدير والاحترام. فالعياشي يكاشف صديقه الدلائي بما يعتزم القيام به من الحركات الجهادية، ويطلعه على خططه الحربية، ويتحدث إليه في غير كلفة ولا احتراز عما يعترضه من صعوبات مادية ومعنوية. وجاء في رسالة وجهها المجاهد العياشي إلى الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي بعد الانتصار الذي كللت به إحدى غزواته ضد الاسبانيين في العرائش، وذلك عام 1631/1040 « وقد ورد علينا كتابكم المعظم أثير المحل لدنيا، كريم الورود علينا، بغزوة العرائش أعادها الله دار إسلام، وقد قوي الأمل في الله سبحانه أن تكون تلك الغزوة مفتاحا لفتحها، ومقدمة تلزم لعزائم الإسلام نتيجة نجاحها، فالمسلمون نازلون الآن بعقر دارها، ومرسلون الصواعق على أسوارها، حتى تغرق إن شاء الله بكفارها، وبإذن الله عز وجل ببوارها، وتطهيرها من أدناسها وأوضارها، وعودها إلى ملك الإسلام بعد إباقها وفرارها. هذا الذي انعقدت عليه النية، وانطوت عليه الحنية. لكن يا سيدي أين المساعد؟ والأمر لا ينهض به الواحد..»[1] وكانت الرسائل الواردة من الدلاء تحمل للعياشي من التشجيع والتأييد ما يدفع به للسير قدما في ميدان المقاومة والجهاد والذود عن حوزة البلاد، وأخطر عقبة كانت تعترض طريق العياشي هي اختلاف القبائل وتخاذلهم. خصوصا بني عمه أعراب بلاد الغرب، ولما طرق خبر فتنتهم سمع الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي كتب إلى العياشي يقول «.. هذا وقد بلغنا وانتهى إلينا أن تلكم القبائل المحيطة بسلا، حسبما نقله الرواة حديثا صحيحا ومسلسلا، ما

[1]– الخبر عن ظهور العياشي، مقال الخرانة العامة بالرباط595 ج، ص 34.

قاموا بواجب شكر الله في نعمه التي أسداها إليهم، وأسبغها عليهم، وهي ذاتكم التي نابت على الأمة المحمدية في أداء هذا الفرض، الذي حمدت سعيه أهل السموات وأهل الأرض. وإذا كانت عادة القبائل أن يردوا أمورهم لمن فيه خصلة واحدة من شجاعة، أو رأي، أو وجود، أو دين، ويجعلوه المعول، فكيف لا يرده قبيلكم لمن جمع الله به وفيه هذه الخصال وزيادة، وأحله بجهاده الرتبة العليا من الرياسة والسيادة، وسلك بهم مسلك الطاعة، وشيد لهم فخرا تبقى مناقبه إلى قيام الساعة، فثق بربك، وشد يديك على الاعتصام بحبله والانتصار به وبأوليائه المؤمنين»[1]

وكتب الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي رسالة أخرى في نفس الموضوع إلى أحد رؤساء بلاد الغرب من ذوي العصبية القبلية والسلطة الروحية، وهو الشيخ أبو زيد عبد الرحمان العيادي من أعيان أعراب سجير[2] يحثه على نصرة المجاهد العياشي وندب القبائل إلى الإئتمار بأمره ودعوتهم للالتفاف حوله والعمل يدا واحدة. وهي رسالة طويلة مؤثرة سلك فيها شيخ الدلاء مسلكا حكيما بين اللين والشدة، والترهيب والترغيب، وكان يعرف من مخاطبه الدين والميل إلى التصوف. فحاول أن يؤثر عليه من الناحية الروحية، وذكر له إن للعياشي مددا من نور النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة شيوخه عبد الله بن حسون، وعبد العزيز التباع، ومحمد بن سليمان الجزولي، وطلب منه أن يبين ذلك لقومه «واشرحوا لهم أصل الهداية، فما هي إلا من النبي صلى الله عليه وسلم ومن أهل المدد من نوره، وكل هداية غير هذا ضلال. واستدعوا من الله بقاء هذا السيد المرابط المجاهد في سبيل الله، الولي الصالح، العالم الناصح، العارف بالله المحق الصوفي الرباني. أبو عبد الله سيدي محمد العياشي– وفر الله أنصاره– فله مدد من هذا النور..»[3] وتحدث ابن أبي بكر بعد ذلك

[1]– عبد القادر أملاق، المصدر السابق، ص ص، 18، 19.

[2]– الشيخ أبو زيد العيادي هذا هو قريب سيدي الحسن العيادي صاحب المزارة المشهورة بحي السويقة بسلا، والمتوفى عام 1718/1131،وهناك صلحاء آخرون من قبيلة سجير ذكر بعضهم الناصري في الاستقصا.

[3]– عبد القادر أملاق، المصدر السابق، ص ص، 22، 23.

عن المسائل الثلاث التي كانت سبب الخلاف القائم بين العياشي وقبائل العرب، وهي قطعهم للطرق، وامتناعهم عن دفع الزكاة، والجهاد معه في سبيل الله، فقال «...أما نهي القبائل عن قطع الطريق والظلم ففيه صلاح دنياهم ومعاشهم، وأما الآخرة فما شعروا بها ولا عرفوها، ولو عرفوها ما احتاجوا الى هذا، فالظلم يخلى الخيام، ويعمرها بالأيتام. وأما أمرهم بدفع الأعشار والزكوات فلأنه لا يعم الإيمان إلا بذلك. قال الله تعالى « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ »، وقد صرفها في مصرفها الشرعي وأعان بها المجاهدين. واما دعاؤه الناس للجهاد واستنجادهم واجتماعهم عليه فان فيه قهر العدو الكافر، وبه رد الله كيده في نحره. مات والله الإسلام. قد قطع العدو البحر ودهم المسلمين في بلادهم، وتخطف الناس وأسرهم من بين خيامهم..»[1] وسار شيخ الدلاء في رسالته على هذا النمط متفجعا على الإسلام، مذكرا بما جرى للمسلمين في الأندلس، والمراحل التي قطعها العدو في امتلاك بلادهم، إلى أن أخرجهم منها نهائيا، وأخذت أطماعه تتجه لاحتلال هذه العدوة أيضا، ثم عاد فذكر فضل العياشي وجمعه لكلمة المسلمين، ودفاعه عن بلادهم دون أن يجد منهم مؤازرا أو معينا.

لم يقتصر تأييد الدلائيين للمجاهد العياشي على تشجيعه بالمراسلات وندب القبائل لمؤازرته ونصرته، وإنما كانوا يقدمون له الإعانات المادية، ويبعثون إليه بالجنود المقاتلة عند الحاجة، وقد أرسل الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي أواخر عام 1032/1633-1634 جيشا قويا بقيادة ابنه محمد الحاج[2] لمساعدة العياشي على إخماد فتنة شراكة[3] بضواحي فاس. وكلن المجاهد العياشي يهادي الدلائيين بما يستطيع من التحف والطرائف اعترافا منه بالجميل. وبعث غليهم عام 1043/1633-1634 مع ابنه عبد الله بهدية عظيمة « اشتملت

[1]- عبد القادر أملاق، المصدر السابق، ص23.

[2]- نفسه، ص13.

[3]- أصل شراكة من أعراب تلمسان، اصطنعهم عبد الله بن الشيخ المأمون السعدي سلطان فاس(1022-1032/1613-1623). نفسه، ص25

على أنواع الملف والكتان، وغيرها من الثياب الرفيعة الغالية الأثمان»[1] حتى إن الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي تعجب من تلك النفائس التي امتلأت بها صناديق عدية، ورأى في استعمالها ترفا لا يليق بصوفي زاهد مثله، فوزعها كلها على الشرفاء والضعفاء والطلبة المقيمين بالزاوية الدلائية، ولم يحتفظ منها لنفسه ولا لأهله بشيء.

وصفوة القول أن العلاقات بين الدلائيين والمجاهدين السلاويين قامت على أساس متين مكن الإخلاص والوفاء. وكان الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي يولي الرئيس أبا عبد الله العياشي كثيرا من التقدير والإجلال، ويعتبره قائما بواجب ديني ووطني، نيابة عن جميع المسلمين في المغرب، حتى أنه اتخذ دعاء خاصا مع أوراده يدعوا به لهذا المجاهد فيقول «اللهم اجز عنا سيدي محمد العياشي أفضل المجازاة، وكافئه أحسن المكافأة، واجعل مكافأتك له كشف الحجب عن قلبه حتى تكون أقرب إليه منه. اللهم لا تحرمه توجهه إليك، وانقطاعه لخدمتك، اللهم نفس كربته، وكمل رغبته، وأجب دعوته، وسدد رميته، واردد له الكرة على من عاداه في الحق، انك على كل شيء قدير»[2].

غير انه بالرغم من تمكن سلطة محمد الحاج وانتشار نفوذه لم يستطع أو لم يجرؤ على أن يوحد المغرب كله تحت سلطته، واكتفى بنوع من التعايش السلمي[3].

[1]– سليمان الحراث، البدور الضاوية، ص 49.

[2]–أحمد الناصري، المصدر السابق، ص91.

[3]– محمد حجي، المرجع السابق، ص 296.

3- الحملتان الدلائيتان الأوليان

قضى محمد الحاج الدلائي السنتين الأوليين في اعداد العدة وتنظيم الجيش، ولم يتحرك جنده إلا في عام 1048/1638، فقام في هذه السنة بحملتين كبيرتين، على ضفاف نهر وادي العبيد وفي بسائط بلاد سائس. وقد ترأس محمد الحاج بنفسه الحملة الأولى، عندما بلغه خبر تحرك جيش محمد الشيخ السعدي من مراكش في اتجاه الدلاء. والتقى الجمعان على ضفة وادي العبيد ببلاد تادلا، في المكان المعروف بأبي عقبة على بعد 12 كيلومتر من المركز الحالي لدار ولد زيدوح. وجرت معركة حامية الوطيس أسفرت عن انهزام محمد الشيخ ورجوع جيشه مفلولا إلى مراكش، وانقطع بذلك نظر السعديين نهائيا عما شمله نفوذ الدلائيين من البلاد. وكام سبب الحملة الدلائية الثانية هو استنجاد المجاهد العياشي بمحمد الحاج، في القضاء على فتنة الحياينة وشراكت الذين قويت شوكتهم، وأمسوا يغيرون على الفاسيين ويسلبونهم أموالهم وأمتعتهم، ويختطفون أولادهم ونسائهم . وقد توجه وفد من علماء فاس وأعيانها الى المجاهد العياشي بسلا ورجو منه ان يخلصهم من بلاء القبيلتين المجاورتين. فأحالهم العياشي على محمد الحاج، وبعث معهم بخطاب يشرح له الحال ويرجو منه الإغاثة والنجدة. فلبى أمير الدلاء نداء الواجب، وأرسل إلى العياشي جيشا قويا من البربر تحت امره أحد قواده المسمى شعشوع. ويمكننا ان ندرك مدى أهمية هذا للجيش اذا عرفنا أن المجاهد العياشي استطاع أن يقضي نهائيا على القبيلتين المتمردتين ويلاحق فلولهما في قنن الجبال، ويفرق بقاياهما في القبائل لتنحل عصبيتهما، ويأمن الناس شرهما، وطالما عالج العياشي أمر الحياينة وشراكة قبل ذلك فلم يحصل على طائل[1]

لم تطل مده الصفاء بين الدلائيين والعياشي بعد ذلك، اذ كان نظر محمد الحاج متجها نحو الغرب، بعد أن تركزت قدماه في ملوية العليا وبسائط تادلت وما ولاهما من البلاد. وكان لا بد له اذا أراد تحقيق مطامحه أن يتخلص من العياشي صاحب النفوذ في الثغور. ولا

[1]- أشار الى عذه الزيارة التي قام بها وفد علماء فاس للمجاهد العياشي بسلا محمد بن أحمد ميارة في مقدمة شرحه للمرشد المعين، وكان ذلك أواسط ذي الحجة عام 1638/1047، محمد حجي، المرجع السابق.

نظن حادثة الأندلسيين الا تعلة اتخذها محمد الحاج لتبرير موقف العدائي من مجاهد سلا، وفرصة اهتبلها للقضاء على منافسه من أجل التوسع وبسط النفوذ . وقد اتهم العياشي الأندلسيين المقيمين على الضفه اليسرى لنهر أبي رقراق بممالأة الاسبانيين على المجاهدين، وأفتاه العلماء بجواز قتالهم، فحاصرهم وضيق عليهم الخناق إلى أن تمكن من مدينة الرباط، وبقيت القصبه تقاوم الحصار مدة طويلة، إذ كانت حاميتها تتألف من الموريسكيين وجنود الملك السعدي صاحب مراكش، يشد أزرهم الإسبانيون من البحر، مما يؤكد الاتهامات الموجهة ضد الأندلسيين ما ورد في رسالة بعث بها دورستان القائم بأعمال قنصلية فرنسا في سلا إلى رئيس الوزراء ريشوليه بتاريخ 16يوليوز 1639 يخبره بأن سلا الجديدة (الرباط)قد سقطت في يد العياشي، وان الحصار قائم حول القصبة التي تمون بواسطة الاسبانيين[1]

وقد أهدر العياشي دماء الأندلسيين في الرباط والقصبة وأباح أموالهم، وفرت طائفة منهم إلى الدلاء فأجارهم محمد الحاج وشفع لهم عتد العياشي فلم يقبل هذا الأخير الشفاعة فيهم، وأبى إلا أن يستأصل شافتهم، فكان رد محمد الحاج انوزحف بجنده على منطقه نفوذ العياشي، في أوائل عام 1050/1640 وملك مدينة مكناس، ثم اتجه إلى فاس فاعترض العياشي طريقه، ووقعت الحرب بين الصديقين القديمين، واقتتل الجيشان المتحالفان الى عهد قريب ،وكان النصر في البداية حليف محمد الحاج، فتقدم الى فاس وحاصرها مدة، ثم كر عليه العياشي في جموع وفيرة من رجال الغرب فانهزم الدلائيون لأول مرة ورفع الحصار عن المدينة. عرف محمد الحاج أنه لا يستطيع القضاء على خصمه مادام في عزة ومنعة من قومه وأنصاره قبائل الغرب، فرأى أن يبحث عن منافسي العياشي من بين رؤساء هذه القبائل، وفي مقدمتهم التاغي والد خيسى، فحالفهم وجذب بواسطتهم الى الى جانبه طائفة مهمة من الأعراب، واغتنم محمد الحاج فرصة تغيب العياشي في بلاد الفحص لقتال الاسبانيين في طنجة، فحشد جموع العرب والبربر شمالا نهر سبو، وترصد وهو على اتم

[1]– مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص108.

وأكمل استعداد عودة خصمه من الجهاد، وفوجيء العياشي بهذا الجيش الجرار الذي اعترض طريق، ورأى ألا قبل له به، فجنح الى السلم والمهادنة، لكن المجاهدين الذين كانوا معه أبوا إلا الدفاع عن أنفسهم ومواجهة خصومهم، فوقعت المعركة الثالثه بين العياشي ودلائيين في ضواحي سوق أربعاء الغرب أواخر 1050/1641و كان من الطبيعي أن لا يصمد المجاهدون الذين أنهكتهم الاغارات على الاسبانيين، خصوصا وهم قلة أمام هذه الحشود المستريحة، وقتل فرس العياشي تحته في المعركة فلجأ الى قبيلة الخلط وهو لا يعلم أنها انحرفت عنه فيمن انحرف من الأعراب، فلم يستقر في المقام عندهم حتى اغتالوه في عين القصب التي تبعد عن مركز سوق أربعاء الغرب بنحو 20 كيلومتر غربا، واحتزوا رأسه وبعثوا به الى خصومه، وذلك في 9 محرم عام 1051/1641 ، وبموت العياشي وتفرق أنصاره خلا الجو للدلائيين وتساقطت في أيديهم المدن والأقاليم تباعا، فملكوا فاسا بعد حصار دام ستة شهور، ثم استولوا على سلا وتطوان وسائر بلاد المغرب[1]

ب /غزو شرفاء سجلماسة

بعد ان قضى محمد الحاج على منافسيه في بلاد الغرب وجه نظره الى ما وراء نهر ملوية وكان يتوجس خيفة من انتشار نفوذ محمد بن الشريف في الصحراء، وطالما بحث محمد الحاج دون جدوى عن وسيلة تضمن له بسط سلطانه على سجلماسة[2]، وتحد من طموح الشريف وأبنائه ، وبالرغم من تفوق الدلائيين المطلق في الناحية العسكرية كان يصعب عليهم أن يضايقوا ال البيت وينكلوا بهم ، ولعل احجامهم عن الإساءة إلى العلويين في الوقائع الحربية العديدة التي ظهروا عليهم فيها يرجع قبل كل شيء إلى ما وقر في صدور آل أبي بكر الدلائي من حب صادق في الجناب النبوي، بالإضافة إلى ما يفرضه

[1]– محمد حجي، المرجع السابق، ص 170

[2]– سجلماسة مدينة عتيقة أسسها بنو مدرار في القرن الثاني للهجرة، ولعبت أدوار مهمة في تاريخ المغرب، وظلت اهلة بالسكان بل عاصمة للاقليم تافيلالت الى ما بعد القرن الحادي /السابع عشر، ومازالت أطلالها ماثلة للعيان بالقرب من الريصاني، ويسميها الفيلاليون المدينة الكبيرة أو القديمة، احمد الناصري، المصدر السابق، ص88

عليهم الوسط السجلماسي جنس المشبع بتعظيم الشرفاء، ولكن سياسة تُعمي وتُصم، والرئاسة تدفع بصاحبها إلى حيث يريد وهكذا أكلت الغيرة صدر محمد الحاج وأعياه الصبر فزحف إلى تافيلالت على رأس جيش جرار من البربر في أوائل عام 1056/1646 ليقضي على منافسه محمد ابن الشريف، وكانت بينهما وقعت القاعة المشهورة التي أسفرت عن انتصار الدلائيين ودخول محمد الحاج إلى مدينة سجلماسة حيث اباح للبربر أن يفعلوا فيها ما يشاءون، فروعوا السكان، واستباحوا الدماء والأموال والأعراض، ثم استجاب الدلائي لتوسلات أعيان تافيلالت وشفاعتهم، وكف أيدي الجند عن الناس، وصالح محمد بن الشريف على اقتسام مناطق النفوذ، فجعلوا ما دون جبل العياشي من الأقاليم الصحراوية من نصيب ابن الشريف، ومافوق ذلك من البلاد خاصة بالدلائيين، واستثنى محمد الحاج من منطقة نفوذ الشرفاء خمسة مراكز احتفظ بها لنفسه، لما كان له فيها من مصالح حيوية خاصة، وهي الشيخ مغفر في أولاد عيسى بالرتب[1]، والسيد الطيب في قصر السوق[2] والسيد أحمد بن علي العثماني في بني عثمان من الخنق وقصر كلميمة[3] في وطن غريس[4] واسرير في بلد فركلة. غير أنه لم يكد ينصرف محمد الحاج من الصحراء حتى هجم محمد بن الشريف على القصور التابعة للدلائيين واستولى عليها ،وتطورت العلاقة بين الطرفين تطورا سيئا كان السبب في القضاء.

[1]– أولاد عيسى قصر يقع على الضفة الغربية لوادي زيز، ويبعد عن قصر السوق بنحو 40 كلم جنوبا والقصر في إصطلاح أهل تافيلالت يعني قرية صغيرة، ويطلق عليها البربر إسم إغرم (بكسر الهمزة وفتح الراء وتسكين الغيم والميم)، وإذا صغر القصر ولم يضم إلا منازل قليلة سمي قصيرا أو تغرمت (بفتح التاء وتسكين الغين والراء الميم والتاء) احمد الناصري، المصدر السابق،ص175

[2]– قصر السوق يسمي اليوم الراشدية هو مقر عمالة تافيلالت، ويبعد عن مكناس بنحو 330 كلم

[3]– تقع كلميمة على ضفه نهر غريس على بعد نحو 60 كلم من الراشدية غربا في طريق ورزازات ويسكنها حتى اليوم ابت مرغادمن البربر، احمد الناصري، المصدر السابق

[4]– بني عثمان ويعرف اليوم بأيت عثمان، عبارة عن عدة قصور تقع على بعد نحو 27 كلم من الراشدية شمالا ويوجد الآن مشروع بناء سد على وادي زيز يعرف بمشروع خزان آيت عثمان، محمد الصغير الوفراني، المصدر السابق.

الجهاد ضد الإسبانيين في المعمورة:

لم يهتم محمد الحاج كثيرا بالجهاد ولو أن النصارى كانوا يحتلون ثغوراً عديدة بجوار المراكز التي يسيطر عليها، ولعله كان مشغولا عنه بالأحداث الداخلية، فهو بالرغم من اتساع رقعة نفوذه ووفرة جنده لم يستطع أو لم يجرؤ على التخلص نهائيا من منافسيه بمراكش وسجلماسة وإيليغ، زيادة على خصومه شيعة العياشي المنبثين في بلاد الغرب وأقاليم الشمال، على أن محمد الحاج دعى الناس للجهاد في أواخر رجب عام 1643/1053 واشتغل نحو نصف شهر بتهييء الحملة لكنه انصرف عنها لأسباب خاصة[1] ثم قام بغزوة كبرى ضد الإسبانيين بثغر المعمورة عام 1647/1057 بعد أن استنفر المجاهدين للحركة معه من جميع الأقاليم[2]. وكان ممن استجاب لدعوته أهل فاس ومعهم الشيخ محمد بن عبد الله معن صاحب زاوية المخفية بعدوة الأندلس، وابنه الصالح أحمد، فأبليا البلاء الحسن في قتال العدو ، وضعف الشيخ يوما عن صعود عقبة بضواحي المعمورة لكبر سنه، فحمله ابنه أحمد على ظهره حتى قطع به المواضع المخوفة، وكان ذا نجدة وإقدام، وحمية في الدفاع عن حوزة الاسلام.

وقد أورد الكونت دو كاستر رواية مفصلة لحصار المعمورة تتحدث بإسهاب عن مراحل الهجوم والدفاع والإغاثة، وتحدد تاريخ الحصار من 10 غشت إلى 3 شتنبر 1647 وهذا التاريخ يتفق في المبدأ تماما مع ما ذكرته المصادر العربية، فالقادري في نشر المثاني وغيره يقولون إن المسلمين خرجوا للجهاد في المعمورة في 7رجب 1057، وهو يوافق 7غشت 1647 ومن الطبيعي ألا يقف الزحف على الحصن الا بعد ثلاثة أيام من خروج المجاهدين من فاس مثلا ، لكن تختلف الروايات الإسلامية والفرنجية في مدة الحصار . فالمصادر

[1]– سليمان الحوات، البدور المرجع السابق، ص152.

[2]– محمد القادري، نشر المثاني، ص144.

وقد ذكر المحققان لكتاب الاستقصا، في الهامش (98.6) احتمال وقوع هذه الغزوة عام 1052 وخلاف الواقع لتضافر النصوص العرب والأفرنجية على تحديد عام 1647/1057 تاريخا لحصار المعمورة من طرف محمد الحاج الدلائي

العربية تقول أن المسلمين رجعوا إلى ديارهم بعد 18 يوماً بسبب تفشي المرض والموت فيهم من ماء فاسد شربوه هناك، بينما تدعي الرواية الأخرى استمرار الحصار نحو وشهر وتؤكد انتشار الحملة حتى في صفوف الإسبانيين ،ويمكن الجمع بين الخبرين بأن انسحاب المسلمين بدأ بعد 18 يوما وبقي بعض المجاهدين في نحر العدو بضعة أيام أخرى، وبالرغم مما تمتاز به الرواية الأفرنجية من دقة تحديد الأيام والساعات للمعارك وذكر أسماء الضباط المشاركين فيها،والمراسلات المتبادلة في الموضوع بين الحامل الحامية المحاصرة وملك إسبانيا، فإنها لا تخلو من المبالغات والتهويلات، ومجمل الخبر الذي أورده دو كاستر أن حصار المعمورة او كما يسمونها S.Miguel de Ultramar ou Saint-Michel d'outremer بدأ بهجوم ثمانية آلاف من برابرة جبال سوس[1] جاؤرا للجهاد ومع كل واحد منهم خنجر، وبندقية خفيفة <<Hâche à deux tranchants>> وسنEscopette[2] .

وقد لوحظ وجود السوسيين في الخندق[3] يومي السبت والأحد 10 و11 غشت 1647 لكن جنود الحراسة الاسبان لم يأخذوا حذرهم، فزحف المسلمون يوم الاثنتين 13غشت حوالي الساعة الرابعة صباحا، وارتموا في خندق باب سلا وبدؤوا يقطعون الجسر المتحرك دون أن يشعر بهم الأسبانيون، إلى أن استيقظ القبطان انطونيو دي باديلا Antonio de padilla على اثر أصوات الطرق، وما كاد يصيح <<إلى السلاح !أيها الاسبانيون!>> حتى سقط ميتا بطلقة نارية من إحدى البندقيات الخفيفة وتراجع المسلمون من الخندق بعد أن أخذت مدافع الاسبانيين تطلق النار عليهم ثم فروا بسرعة وتسلقوا بسهولة البرج دون أن SAINT JOSEPH دون أن يدافعهم جنود الحراسة الذين أدوا ثمن إهمالهم بموت عشرة منهم وجرح اثنين آخرين

---

[1]– من المعلوم أن بلاد السوس كانت خاضعة في ذلك العصر الى أبي حسون السملالي، لذلك فإن البرابرة الذين تتحدث عنهم الرواية الاسبانية هم بدون شك من المنطقة الخاضعة للدلائيين بالأطلس المتوسط والكبير، ولفظ جبال السوس في الرواية اما ان يكون غلطا، أو باعتبار الاصطلاح القديم الذين كان يعتبر أن السوس الأدنى يشمل المناطق الواقعة بين وادي ملوية ووادي أم الربيع ، محمد حاجي، المرجع السابق، ص66.

[2]– <<Escopette> نوع من البنادق الخفيفة المشهورة منذ القرن الخامس عشر

[3]– يبدو أن حصن المعمورة كان محاطا بخنادق دفاعية، يسمى ما يقع منها في الناحية الجنوبية خندق باب سلا

وحاول المسلمون أن يستولوا على الآبار التي تموَن الحصن، لكم الاسبانيين[1] استماتوا في الدفاع، عنها طيلة ثلاث ليال، وقد بعت السوسيون إلى الأمير عبد الله الدلائي في سلا يخبرونه بستيلائهم على القنطرة والبرج، فأمر أن ينادي في جميع مناطق إمارته ليأتي رعاياه في ظرف ثلاثة أيام الى مدينة سلا لجهاد النصارى، فاستجاب لندائه في الأجل المحدد جميع من كانوا يستطيعون حمل السلاح، واجتمع أكثر من30.000 رجل و20.000 فارس، علاوة على كثير من باعة المؤونة للجند، وتحرك جيش المسلمين من سلا حاملا معه ثلاث قطع من مدفعية القصبة، اثنتان من الحديد، ومدفع صغير من النحاس، واحتل هذا الجيش المراكز التي كان المقاتلون البربر قد استولوا عليها، وأخذ يوجه قذائف المدافع إلى المواقع الأمامية للاسبانيين، وبقى يتقدم إلى أن لم يعد يفصل بينه وبين أساور الحصن إلا أقل من 30 قدما أمام قنطرة فاس وسلا، وكانت مقاومة الجنود الاسبانيين ضعيفة لانه معظمهم كان مصاباً بالحمى الثلاثية، وأرسل القبطان دون فرانسيسكو بانوس دي هيريرا DON FEANCISCO BANOS DE HERRERA حامية الذي كان قائما بقيادة المعمورة زورقا سريعا إلى إسبانيا وفيه رسالتان احدهما إلى الملك والأخرى إلى دوق المدينة والقلعة، يخبرهما بحالة الحصار ويطلب الإغاثة والنجدة بأسرع ما يمكن ، وبمجرد ما توصل الدوق بهذا الإعلام يوم 16غشت سارع إلى تهيئ الأسطول بالرغم من كونه كان في طور النقاهة من حمى ثلاثية خبيثة، وبدأت الاستعدادات في نفس اليوم، وانتهت في اليوم الرابع، وانتظرت المراكب الريح المواتية فلا تنصب أشرعتها إلا في يوم 24 غشت ، وكان أسطول الإغاثة يحتوي على سفينة دانكريك المسماة سان بيدرو < SAIN PEDRO> وسفينة انجليزية كبيرة، وعشر سفن طويلة، ثم انضمت إليه في الطريق سفن حربية أخرى مليئة بالضباط والجنود ، ولما وصل الأسطول إلى العرائش طلب قائده من حاكم المدينة الاسباني أن يزوده بأخبار المعمورة،

[1]– أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 176 .

فأجاب بأنه لا علم له تماما بهذا الحصار لأنه أن يصل إليه أي رجل من المغاربة المتعاونين[1]

وقد أعد قائد الأسطول الترتيبات اللازمة للقتال في حالة ما إذا وجدوا الحصن قد سقط في أيدي المسلمين ، وفي يوم الأربعاء 28 غشت على الساعة العاشرة وصل أسطول الإغاثة واقترب إلى أن صار بمرأى من الحصن وخيام المسلمين، لكنه لم يستطع الدخول إلى وادي سبو نظرا للطلقات النارية التي توجهها مدفعية المسلمين المركزة على ضفة النهر، وفي اليوم التالي عُين بطريقة القرعة مركبان على ظهر كل منهما ضابطان وأربعة جنود للتوجه – بالقوة – إلى الحصن، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل، وفي يوم الجمعة 30 غشت عاودت سفينتان أخريان الكرة بدون نتيجة، فقر رأيي قائد الأسطول على أن يقتحم النهر بنفسه تفاديا لأخطار الانتظار والتردد ، في يوم السبت[2] 31 غشت على الساعة الرابعة صباحا وصل إلى الأسطول زورق كبير قادم من الحصن دون أن يصيبه سوء أو يشعر به المسلمون ، وكان يحمل رسالة من قائد الحامية المحاصّرة يطلب فيها بإلحاح كبير من قائد الأسطول أن يدخل إلى النهر في أسرع وقت ممكن، لأن الحصن المحاصر من مسافة قريبة جدا معرض للسقوط، ولأن الحاجة ماسة إلى الرجال بسبب كثرة المرضى والجرحى ، فتقدم قائد الأسطول بسفينته الكبرى تتبعه السفن الحربية الأخرى، إلا السفينة الإنجليزية التي تمرد قائدها وهدد بنسفها إذا ما أرغم على الدخول إلى النهر، ووقعت معركة حامية بين المسلمين والبحارة الاسبانيين تبادل الطرفان خلالها طلقات المدافع في النهر، ثم وقعت اشتباكات عديدة في البر، وتمكن الاسبانيون أخيرا من الدخول إلى الحصن وربط حبل الاتصال معه .

[1]– المغاربة المتعاونون أو من يسمونهم عبارة عن مغاربة شبه جواسيس كانوا يؤدون يمين الإخلاص إلى ملك اسبانيا ويستخدمهم النصارى في مفاوضتهم مع المسلمين، محمد حاجي المرجع السابق .

[2]– أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 176 .

وفي يوم الاثنين 3 شتنبر 1647 أخذ المسلمون المدفع الصغير النحاسي، وتركوا المدفعين الحديدين محطمين، ورفعوا الحصار عن حصن المعمورة، بعد أن أضرموا النار في مصف المدافع ليلا أثناء إنسحابهم .

حملات تأديبية في بلاد زعير والحياينة

قام محمد الحاج خلال العشرين سنة الأولى من ولايته بغارات عديدة في مختلف الأقاليم حالفه النصر في غالبها، واستطاع أن يثبت الأمن ويقضي على الثوار واللصوص العابثين . ومن أشهر حملاته التأديبية قتاله لقبائل زعير بالقرب من وادي الشراط[1] خلال عام 1650/ 1651 فشتت جموعهم وطارد رئيسهم الدقاق، وجاست جمود الدلاء خلال ديار زعير وتعقبت آثار رؤوس الفتنة فيها الى أن اذعنت القبيلة كلها بالطاعة، وركنت إلى الخضوع والاستكانة واستراح الناس من عيثها مدة طويلة، وفي السنة الموالية قام محمد الحاج بحركة مماثلة بضواحي فاس، قارع فيها قبيلة الحياينة وكسر شوكتها، وكانت قد رجعت إلى سابق عهدها في السلب والنهب وقطع الطرق وسفك الدماء، وتوجه وفد من علماء فاس إلى مدينة دلاء يرجون من السلطان محمد الحاج أن يكف عنهم قبيلة الباغية ويخلصهم من أذاها وحملوا معهم سبعا من فتاوي أكابر فقهاء المدينة الإدريسية [2].

[1]– يبعد وادي الشراط عن الرباط بنحو 37 كم جنوبا، محمد حاجي المرجع السابق ص175.

[2]–محمد حجي، المرجع السابق، ص 177

4-نهاية الزاوية الدلائية:

لقد تعاقبت على الزاوية أطوار الحياة الطبيعية، من نشوء وترعرع وارتقاء، ثم تقهقر وفناء، في أمد قريب لم يتجاوز قرنا واحدا، وهو عمر قصير بالنسبة للمؤسسات الدينية والعلمية التي يفرض فيها أن تخلد خلود الدين والعلم، لاسيما وقد تم تأسيس الزاوية الدلائية في موقع جبلي هام بعيد عن العاصمتين فاس ومراكش، على يد شيخ أصيل في هذه البيئة، لديه كل المؤهلات التي تضمن التفاف الناس حوله، فلم يختلف اثنان في صلاح الشيخ أبي بكر الدلائي، ولم يعرف عن قومه المحاطيون وجيرانهم الزيانيون والتادليون إلا النسك والعبادة منذ حداثة سنه، والزهد في الدنيا والإعراض عن زخرفها الزائل على ما آتاه الله من بسطة في الرزق، ولم يمت هذا الشيخ حتى كانت الزاوية الدلائية قد سارت بذكرها الركبان، واشتهر أمرها في المغرب كله، وقصدها الناس من جميع الجهات، ومن بينهم علماء كبار استطابوا المقام فيها شهورا وأعواما، وازدهرت بهم المجالس العلمية ازدهار حلقات الأذكار بالمريدين. وخلف محمد بن أبي بكر أباه على رأس الزاوية الدلائية، وكان عالما كبيرا له خمسة من الإخوة العلماء، تصدروا للتدريس جميعا فنفقت سوق العلم في الدلاء، وتكاثر فيها الطلبة الذين أووا إلى مدارس كبيرة بلغت حجراتها ألفا وأربعمائة، واتسعت المكتبة العلمية الدلائية التي كانت تستنسخ لها الكتب النادرة في المشرق والمغرب إلى أن بلغ عدد الكتب فيها عشرة آلاف مجلد، ويكفي الزاوية الدلائية فخرا أن يعد من تلاميذها الحسن اليوسي صاحب المحاضرات والقانون، وأحمد المقري صاحب نفح الطيب، ومحمد العربي الفاسي مؤلف مرآة المحاسن، وأضرابهم من فطاحل العلماء، وأن تنجب من أبنائها عشرات الأعلام في مختلف ميادين المعرفة، مثل محمد بن أبي بكر الدلائي شيخ الحفاظ بالمغرب، وابنه محمد المرابط إمام اللغة والنحو في عصره، وأحمد بن عبد الله الدلائي أشعر قومه وأعلمهم بالآداب[1].

[1]- محمد حجي، المرجع السابق، ص295.

وشاء القدر أن يتولى أمر الزاوية الدلائية في منتصف القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر ميلادي) رجل طموح من هذه الأسرة المجيدة، بهره بريق الجاه والسلطان وأعماه حب الرياسة، فانغمر في ميدان السياسة، وكانت له مؤهلات كثيرة للنجاح، من عصبية صنهاجية قوية ونفوذ روحي كبير وثروة طائلة، الى رجاحة عقل وحسن تدبير وبطولة نادرة، ملك السلطان محمد الحاج الدلائي أهم البلاد وامتد نفوذه فشمل وسط المغرب وشماله وغربه ودخلت في قاعدته سلا، والرباط، ومكناس، وفاس، وتازا، وتطوان، وأسس بالسفح الغربي للأطلس المتوسط مدينته العظيمة التي ورثت عن زاوية الدلاء القديمة اسمها وعلمها ونفوذها الروحي، وقد انضوى تحت لواء الدلائيين المجاهدون البحريون أو القراصنة السلويون، وأقام عبد الله الدلائي في قصبة سلا نائبا عن أبيه السلطان محمد الحاج في حكم مدن أبي رقراق وما يليها من بلاد الغرب، وفي الاتصال بممثلي الدول الأوربية الكبرى التي كان لها قناصل قارون في سلا وتطوان يمثلونها لدى الأمير الدلائي، ويفاوضونه في موضوع العلاقات التجارية، والمشاكل الناتجة عن القرصنة البحرية وخاصة مسالة الأسرى وفداءهم، وكان لأسطول الجهاد المغربي وزنه الراجح أيام الدلائيين، يرهبه الأوربيون أكثر من رهبتهم للأسطول التركي في الجزائر، ويسعون بجد في مهادنة الدلائيون التحالف معهم، رغبة منهم في المحافظة على سلامة أساطيلهم التجارية التي كانت تمخر عباب البحرين الأطلنطيقي والمتوسط، وأمضى عبد الله الدلائي عدة معاهدات مع هذه الدول، ساعدت على نشاط الحركة التجارية في الموانئ المغربية، واستغنت الخزينة الدلائية بالضرائب الجمركية المفروضة على الصادرات والواردات، وتزود الجيش الدلائي بالعتاد الحربي الحديث المجلوب من أوربا، ووجه الدلائيون سفراءهم إلى هولندا، فكانوا محل تقدير وإعجاب، واستطاعوا أن يحلوا كثيرا من المشاكل العويصة التي ظلت معلقة بين البلدين طوال سنين عديدة[1].

[1]– محمد حجي، المرجع السابق، ص 296.

الفصل الثالث
ثورة ابن أبي محلي

نظرا لتدهور الأحوال السياسية في المغرب الأقصي بعد وفاة الموالى المنصور سنة 1603موما صاحب ذلك من تغيرات اقتصادية ونظرا، للتدخلات الأجنبية حدث انفلات امني كبير وفوضى عارمة على مستوى الرعية وهو ما أدى إلى انتفاض بعض المشايخ والزعماء الصوفية لتزعم الثورات عبر كامل التراب مغربي، هذا الذي نظر عليه المؤرخين على أنها حركات تمردية ضد الحكم السعدي، ومنهم من يرى إن نشاطهم يدخل في إطار عمل جهادي بحث، بينما نظر بعض من المؤرخين إلى زعماء تلك الحركات بأنهم مغامرون يطمحون للوصول إلى السلطان والحكم مستغلين الواقع السياسي المتأزم ليسيطروا على البلاد، والإشكالية المطروحة هنا هي:

إذا كانت أسباب تلك الثورات معروفة فما هي أهدافها، وكيف كان تأثيرها على الوضع السياسي في الفترة المدروسة؟

1-شخصية ابن أبي محلي: وهو احمد بن عبد الله السجلماسي المعروف بابن أبي محلي كانت ولادته سنة 967هـ/1559م، بمدنية سجلماسة التي ينتسب ليها، سجلماسة[1]، بالجنوب المغربي، وهو من قبيلة بربرية ترجع إلى صنهاجة الساكنة على تخوم الصحراء، وارجع المؤرخ (Ernest mercier) أصله إلى قلبية مغراوة أو لمتونه لامازيغيتينن[2]، ورغم إن ابن أبي محلي قد ادعى النسب الشريف وان كافة عائلته تنحدر من ذرية العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه[3]، إن البعض من المؤرخينّ لا يميلون إلى تصدق نسبه الشريف،

[1]-مدينة قديمة في الجنوب الغربي، بكسر السين الأولى والجيم، وسكون اللام، وفتح السين الثانية مشددة، يذكر المؤرخ عبد السلام بن سودة المري أنها زالت وطمست أثارها، ويجهل لان موقعها الأصلي، بعدما وصلت إلى أوج الرقي والعمران كانت مراكزا وسوقا تجاريا مهما، كما كان تطريقا تجاريا يربط بين المغرب الاسلامي وبلاد السودان، بن سودة (عبد السلام) دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط1، دار الفكر للطباعة والنشرنبيروتن1997، ص15، البياتي(بان علي محمد)، النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرنين(3)5هـ./(9)11م) مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة بغداد2004، ص42-45

[2]Mercier(ernest).op.clt.p192.

[3]- يذكر ابن أبي محلي عنه نسبه ويقوم:(والذي تلقيته من أبي وكافة عمومتي أن أولاد أبي محلي من ذرية العباس بن عبد الطلب رضي الله عنه)، محمد الصغير الوفراني، المصدر السابق، ص201.

وذلك إن انتحاله النسب الشريف[1] لم يكن إلا لتلبية بعض الإغراض السياسية، ولعل أولها ادعاؤه المهدوية[2]، أخذ احمد بن أبي محلي مبادئ العلوم الدينية على يد والده في سجلماسة بزاوية العائلة- زاوية أولاد القاضي- وتلبية الإتمام الملكة العلمية سافر إلى حاضرة فأس ليلتقي علمائها ويأخذ عنهم، وهي عادة علماء البادية الذين كانوا يتوجهون إلى المدن ليأخذوا عن علمائها، وكانت أولى رحلاته لطلب العلم في حدود سنة 980هـ. 1572م ، وهو لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره، ومكث في فاس حوالي خمس سنوات أتقن فيها النحو، إلا انه عاد إلى البادية لعدم استتباب الأمن في مدينة، ودخول النصارى إلى وادي المخازن[3]، ثم رجع إلى مدنية فاس في عهد المولى احمد المنصور الذهبي، راغبا في الاستزادة من الفقه بعدما أتقن النحو واللغة [4]،ويذكر محمد الصغير الو فراني نقلا عن احمد بن أبي محلي انه استزاد علما في الوقت قصير جدا وهو حول، ويرجع ذلك لا اجتهاده ورغبته في تحصيل العلوم والى دعائه الله على قبر الولي الصوفي سيدي أبي يعزي يلنور[5]، وان يتوب عليه الله تعالى[6].

ويبدو إن احمد بن أبي محلي قد خاض& تجربة صوفية بعدما تفقه- على أساس أن الفقه والتصوف يكملان بعضهما[7]، وفسرها بعض المؤرخين على أن الفقيه ابن أبي محلي

---

[1]- احمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص32.

[2]- يعرف ابن ابي محلي بنفسه في كتابه أصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت يقوم:(كانت ولادتي سنة سبع وستين وتسعمائة بسجلماسة.. واما جدنا لاشهر المكنى باني محلي فتح الميم والحاء وكسر اللام المشددة بعدها ياء تحتية ساكنة مع كبير شهرته لاعلم لي علم لي الان بسبب تكنيته بذلك ولا بتفاصيل أحواله بعد البحث عنه قال وبخطة القضاء اشتهر نسبنا فنعرف باولاد القاضي وزاويتنا بزاوية القاضي ولم تزل بقية العلم في دورنا)، المصدر السابق، ص201، نقلا عن ابن أبي محلي.

[3]- أنظر عن غزوة وادي المخازن احمد الناصري، ج5، المصدر السابق، ص69

[4]- محمد الصغير الوفراني، المصدر السابق ص201

[5]- راجع ترجمته في التلمساني (ابن مريم)، البستان فغي ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تصحيح ومراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص-ص108-110

[6]- محمد الصغير الوفراني، المصدر السابق، ص202

[7]- عبد المجيد الحملاوين، المرجع السابق، ص265

أراد إن يدعم مشروعه السياسي بالشروط الأساسية لذلك وهي العلم – وهو العلم الشرعي، والقداسة –وهي التجربة الصوفية، والمهدوية[1]، وأي كانت نوايا الفقيه احمد بن عبد الله بن أبي محلي العامة وذاع صيته وشدت له الزيارات من طرف الكثيرين [2].

فقد قال فيه الشيخ أبو العباس احمد التواتي رحمه الله تعالى في رسالته التي سماها مقامة التحلي والتخلي من صحبة الشيخ أبي محلي وهي رسالة طويلة قال:(كان الفقيه أبو محلي في أول أمره فقيها صرفا ثم انتحل طريقة التصرف مدة حتى وقع على بعض الأحوال الربانية ولاحت له مخايل الولاية فانحشر الناس لزيارته أفواجا وقصدوه فرادى وأزواجا وبعد صيته وكثرت أتباعه قال فلما سمعت بذلك ذهبت إليه وجلست عنده إلى أن وجدته يشير إلى نفسيه بأنه المهدي المعلوم المبشر به في صحيح الأحاديث فتركته وراء ونبذته بالعراء)[3]

فبعد أن تحصل احمد بن عبد الله بن أبي محلي على معظم العلوم الشرعية، نجد يعترف بأنه كان من أكثر المتخوفين من التصوف، فيقل محمد الصغير الوافراني نقلا عن ابن أبي محلي في كتابه الأصليت ويقولك:(...أما طريق الفقر فلا تخطر لي ببال لان المعتمد يومئذ في فقراء الوقت أخلاق الضلال فكنت اشد الناس حذرا منهم ...)[4]، وكان سبب احتكاك الفقيه احمد بن أبي محلي بالفقراء الصوفية هو الشيخ محمد بن المبارك الزعري، الذي انتقل إلى زرايته بالسوس وصاحبه ثمانية عشر عاما

ورغم أن تأثير الشيخ محمد بن المبارك الزعري على الفقيه احمد بن أبي محلي كان واضحا إلا أن هذا الأخير تتلمذ على يدي الكثيرين من علماء العصر بالأجازة والدرس،

[1] MERCIER (ERNEST).OP.CiT.P192

[2] ibid.P193.

[3]– محمد الصغير، المصدر السابق، ص 203.

[4]– نفسه، ص202

ولعل أهمهم الشيخ أبي العباس احمد المنجور، والشيخ أبي العباس احمد بابا التمبكتي السوداني[1]، والشيخ سالم السنهوري[2].

وحسب ما ينقل عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني عن كتاب منجنيق الصخور لابن ابي محلي، أن علاقة هذا الأخير كانت جد حسنة مع الشيخ الصوفي محمد بن علي ابهلول الملياني[3]، إلا اننا لا نعرف ما إذا كانت احمد بن أبي محلي له علاقة تعليم أو نعلم مباشرة مع أبهلول[4]، ولاتذكر المصادر التاريخية أي علاقة لأحمد بن أبي محلي مع علماء الجزائر إلا بالشيخ سعيد قدوره، فابو رأس الناصر المعسكري يذكر علاقة الفقيه احمد بن أبي محلي بالشيخ سعيد قدورة في كتابة فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، ويقوم: (الشيخ الجليل العلاقة النبيل، ذو النصب الجلي، السيد آبي العباس احمد بن أبي محلي المساوري* دارا العباسي نجارا، المراكشي إقبارا، شيخ الشيوخ وبقية أهل الرسوخ، حتى إن الشيخ سعيد قدورة من جملة تلاميذه)[5]،أما علاقة الفقيه احمد بن أبي محلي بالشيخ الخروبي إن كانت علاقة مباشرة لم تكن طويلة، كما أنها تبقى علاقة مبهمة، يحددها تأليف الفقيه أحمد بنابي محلي المسمى، أجوبة الشيخ الخروبي عن رسالته إلى الشيخ أبي عمر القسطلي المراكشي.

---

[1]– الترغي (عبد الله المرابط)، فهارس علماء المغرب منذ النشأء إلى نهاية القرن الثالث عشر للهجرة – منهجيتها تطور ها، قيمتها العلمية، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، 1999، ص 639.

[2]– وهو احد علماء مصر، عاصر احمد بابا التمبكتي السوداني، وقال فيه:(الشيخ الفقيه المحدث المتفنن العلامة، احد شيوخ مصر ...برع في الحديث والفقه وغيرها ندرس وافقى...)، احمد بابا المتبكي السوداني، المصدر السابق، ص191.

[3]– عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، ج1، المرجع السابق، ص285

[4]– انظر ترجمته في ابو القاسم سعد الله، التاريخ الجزائر الثقافي، جد1، المرجع السابق، ص503.

*نسبة الى وادي الساورة، انظر عنها ابي سالم العياشي، سابق، ص76.

[4]– الناصر (ابو راس)، **فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، تحقيق محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص47.

[5]– محمد حجي، المرجع السابق، ص135

لقد ترك احمد بن أبي محلي الكثير من المؤلفات وجلها مجهولة غير محققة، لخص فيها ابن أبي محلي نظرته السياسية ولاجتماعية والدينية، وقد أدراج محمد حجي في كتابه الزاوية الدلائية جدولا بمؤلفات الفقيه احمد بن أبي محلي، ونذكر منها:

1-الاصليت الخريت، في قطع حلقوم العفريت النفريت: وهو كتاب في الرحلة والفهارس والأسانيد، والترجمة الذاتية، الخص فيه سيرته منذ البداية إلى قيامة للثورة[1]، وهو أيضا في ردع بعض من مشايخ المغرب الأقصى، وأهمهم عبد القادر بن محمد بن سيلمان السماحي [2] .

2-منجنيق الصخور في هد بناء الشيخ الغرور، ورأس الفجور: وهو كتاب أيضا في الردع والأمر المعروف والمهني عن المنكر، وهو أيضا موجه للشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان السماحي.

3-مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ومدراس النكوس السلفة المتعدة: وتكلم فيه ابن أبي محلي عن المهدوية، ورد على خصوصه ممن عارضوه، وتوجد منه نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط[3].

4-اجوبة الشيخ الخروبي عن رسالته إلى الشيخ أبي عمر القسطلي المراكشي: ذلل كان الشيخ محمد الخروبي قد قدم إلى المغرب مرتين على سبيل السفارة وكانت للشيخ الخروبي نشاطات صوفية معتبر في إطار الطريقة الشاذلية، وهي نفسها الطريقة التي كان احمد بن أبي محلي ينهجها [4].

---

[1]- محمد حجي، المرجع السابق، ص135

[2]-ابو راس الناصر العسكري، المصدر السابق، ص47

[3]-محمد حجي المرجع السابق، ص135

[4]- محمد حجي، المصدر السابق، ص136، ولابن ابي محلي تأليف أخرى نجهل محتواها منها:الوضلحنو القسطاس المستقيم في معرفة صحيح من السقيم، و المنجنيق لرمي البدعي الزنديق نسم ساعة في تقطع امعاء مفارق الجماعة، والسيف البارق مع السهم الراشق، وسلسبيل الحقيقة والحق في سبيل الشريعة للخلق، وتهييج لاسد، البغدادي (اسماعيل باشا)، هدية العارفين وأسماء المؤلفين وأثار المصنفين، ج1، وكالة المعارف الجلية، استانبولن1955، ص83

ورغم أن الكثير من المؤرخين ينظرون لابن أبي محلي على أساس انه مفتري وله إطماع سياسية، وخرافي ومشعوذ، إلا انه من الواجب على الباحث أن يعترف له على الأقل بأنه كان من الإعلام البارزين في عصره، ذلك لان ابن أبي محلي له تكوين علمي فريد لا يتوفر للفقهاء إلا للقليلين في عصره، فزيادة على انه متطلع في علوم اللغة والنحو والفقه، فان له تجارب كثيرة منها الرحلات العلمية في المغرب وكذا الرحلات إلى المشرق [1]،وأيضا له الباع الطويل في طريق القوم،كما أن له تجربة سياسية مهمة كما له شخصية قوية تتضح في محاولة إعلاء الحق والأمر بالمعروف والمهني عن النكر، ومحاربة البدع في وقت استحكم فيه التصرف الشعبي المزوج بالخرافات، وابن أبي محلي لم يكتف بمحاربة هذه البدع بالقلم فقط من خلال كتاباته اللاذعة . مثل كتاب منجنيق الصخور في هد بناء الشيخ الغرو، ورأس الفجور. بل حتى بسلاحه، وهو ما يحتم علينا أن نتعرف لابن أبي محلي على انه من أهم الأعلام الذين ظهرت بصماتهم واضحة في المغرب الأقصى في بداية القرن 11هـ/17منوله رسالة في السياسة، انتقد فيها الموالي زيدان بن احمد المنصور الذهبي، ويذكر المؤرخ عبد السلام بن سوده المري في الدالي لبانه افتتح رسالته بـ...(الحمد الله بيده الملك وهو على كل شيء قدير ...)، وهي في نحو كراسة بخزانة محمد بن عبد الواحد الفاسي[2].

لم يكن ابن آبي محلي من دعاة التقليد ولا دعاة الخمول والتسليم السلبي للقدر، إلا أن ما يعاب عليه أيضا انه استغل معرفته الدقيقة بطبائع المجتمع المغربي، وعلمه الغزير وحاول أن يستفيد منها لإنجاح مشروعه السياسي نوقد كانت له الكثير من العلاقات الثقافية والعلمية مع شيوخ عصره، مثل محمد الخروبي الطرابلسي الجزائري، وعبد القادر بن محمد

[1]–عبد الله المرابط الترغي، المرجع السابق، ص639

[2]– عبد السلام بن سودة المري، المرجع السابق، ص101

سليمان السماحي[1]، وسعيد قدورة الجزائري[2]، وابن بكر الدلائي[3] وكذابي العباس احمد التواتي[4]، والحافظ الحسن اليوسي [5]، وآبي زكريا يحي الحاحي[6] وغيرهم كثير.

وما يعاب عليه انه ادعى المهدوية علنا، وبالغ في التظاهر الكرامات الصوفية كما انه استعمل الدخان، وأشاع استعماله بين أتباعه رغم علمه الواسع بالفقه، وهي عشبة خبيثة اجمع معظم الفقهاء في القديم والحديث بتحريمها، إلا أن العض يزعم أن فيها الكثير من النافع الروحية والصحية.

لقد وصف ابن أبي محلي وصفا دقيقا من خلال رسالة حررها انجليزيان اثنان مهولان غير أنهما يرمزان لاسميهما بـ RS.و G.B كانا في المغربي الأقصي أيام حكمه [7]، فيذكر كاتبا الرسالة بأنهما التقيا مع ابن أبي محلي وبقيا في محلته أربعة أيام كاملة، تحدث إليهما، ويصفانه بأنه متواضع جدا، ولبق في حديثه، كما انه يمتلك قدرة كبيرة على الإقناع، وانه رؤوف بالمسيحيين غير متعصب ضدهم، يظهر على ابن أبي محلي الصغر في العمر، إذا انه يظهر في منتصف الثلاثينات، بينما عمره الحقيقي ذلك 52سنة في ذلك الوقت، وكان احمد بن أبي محلي مهذبا جدار، بسيطا في تعامله ومعاشه، يضع على رأسه عمامة ويرتدي

---

[1]– ينسب الخروبي الى طرابلس باعتبارها أصله، والجزائر باعتبارها مسكنه، كان صاحب مكانه عند الأتراك العثمانيين الخروبي متضلعا في التصوف زار المغرب الأقصى على سبيل السفارة مرتيننا شتهر الخروبي بمساندته بالجزائر، كان الخروبي متضلعا في التصوف، زار المغرب الأقصى على سبيل مرتين، اشتهر الخروبي العثمانين بالجزائر، كان الخروبي متضلعا في التصوف، زار المغرب الأقصى على سبيل السفارة مرتين، اشتهر الخروبي بمساندته للطريقة الشاذلية، ومن أهم تاليفه شرح على الصلاة المشيشية، للمزيد عن الخروبي راجع المراكشي (عباس بن ابراهيم)، الإعلام بمن حل بمراكش واغمات من أعلام، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، ج4، المكتبة الملكية، الرباط105،1983، ابوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص498

[2]– ابو راس الناصر المعسكري، المصدر السابق، ص47

[3]– محمد حجي، المرجع السابق، ص136

[4]–محمد الصغير، المصدر السابق، ص203

[5]– نفسه، ص202

[6]– نفسه، ص205

[7]– هذين الشخصين تركنا لنا وثيقتين في شكل رسالة، واحدة مطولة وهي بتاريخ 19 سبتمبر 1612م، والثانية مختصرة وهي بتاريخ 20 سبتمبر 1612، واختار كاتبا الرسالة عدم ذكر اسميهما واكتفيا التوقيع برموز،محمد الصغير الوفراني

قميصا من نسيج هولندي، مع حائك من الحرير المخطط[1] يحمل سيفا ذا غمد جلدي، فوق عينه اليمنى تؤلول وله سن سوداء، شعر بين كتفيه، إمارة خاتم في راحة اليد اليمنى، وهو رجل حكيم ذكي جدا، متطلع في أمور التنجيم والسياسة .

2-أسباب الثورة:

لقد كانت لثورة ابن أبي محلي العديد الأسباب المختلفة وهي كالتالي:

1. تعد حادثة تسليم قاعدة العرائش من قبل الموال محمد الشيخ المأمون أهم حدث سياسي في المغرب الأقصى في بداية القرن 11هـ/17م، بعد حدث وفاة المولى المنصور وهو السبب المباشر لاندلاع ثورة ابن أبي محلي، ووقف في وجه أبناء المنصور المتصارعين من اجل السلطنة واعتبر العامل الشيخ المأمون مع الإسبان خيانة الأمانة كما اعتبر جهاد المأمون واجبا يمليه الدين [2].

2. تراجع العصبية السياسية الأسرة السعدية بعد وفاة المولى احمد المنصور الذهبي سنة 1012هـ/ 1603، وهو ما فسح المجال لعصبيات أخرى بالظهور[3]،فأراد ابن أبي محلي أن يغتم هذه الفرصة ليظهر في صورة المدافع عن لأرض ولاستلام من احتلال النصراني، ومنه فالفراغ السياسي الذي أصاب المغرب كان محفزا لابن أبي محلي في المضي قدما نحو تحقيق مشروعه السياسي .

---

[1]- محمد الصغير الوفراني، المرجع السابق، ص144

وحين سقطت العرائش، انشد ابن أبي محلي قصيدة رثى فيها المدنية في قوله: لئن صح ما قد قيل ما عاش عائش*** إذا اخذ الكفار مرسى العرائش فيا معشر الإسلام من بعد عزكم*** عليكم أكان الذل لا من مناوش المريني (دعوة الحق)، شعر الحهاد في الآداب المغربي، ج2، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباطن1996، ص57

راح ابن أبي محلي يحث العامة والفقهاء على الجهاد، لتخليص الباد من لاحتلا ومن اجل إيجاد عصبية تحميه ممن يعارضه ادعى النسب الشريف والمهدوية واعتبر نفسه أمرا بالمعروف وناهيا عن النكر، للمزيد من اطلاع حول مهدوية ابن أبي محلي، راجع قدوري (عبد المجيد)، ابن أبي محلي ورحلته لاصليت الخريت، ط1، منشورات عكاض، الرباط، 1991، ص61

[2]- محمد بن الطيب القادري، ج3، المصدر السابق، ص121.

[3]- بالحميسي (مولات)، الجزائر من خلال رحلات المغاربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979

3. تزايد نفوذ الفقهاء ورجال التصوف، والمتطوعين للجهاد الذين حاولوا ملا ذلك الفراغ السياسي، من أمثال احمد النقسيس واحمد أبو الليف في الشمال المغربي، سيما بعد مقتل الموالى محمد الشيخ المأمون سنة 1022هـ/1613م.

3-مراحل ثورة ابن أبي محلي:

تذكر الكثير من المصادر أن ابتداء أمر احمد ابن أبي محلي كان انطلاق من وادي المساورة، و بالتحديد في قرية بني عباس[1]، وقد توجه ابن أبي محلي كأول خطوة لانطلاق ثورته نحو سجلماسة، وكان ذلك بأمر من شيخه محمد بن المبارك الزعري، الذي سلمه عصا وخرقة ونعله، ووضع على رأسه قلنسوة، وكان ذلك بأمر من شيخه محمد بن المبارك الزعري، الذي سلمه عصا وخرقة ونعله، ووضع على رأسه قلنسوة، وكان ذلك سنة 1002هـ/1593م، إلا أن ابن أبي محلي في هذه الأوقات لم يكشف عن نواياه السياسية بل اكتفى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعليم، واستقبال الزوار، والدعوة السرية[2].

أعلن احمد بن أبي محلي بأنه هو المهدي المنظر في أخر الزمان، الذي اخبر عنه الرسول[3] من خلال أحادثه السبعة [4]، وجمع حوله الإتباع والمتطوعين للجهاد ولنصرة الدين وتحرير الأرض المحتلة، وصرح لهم انه تلقى كل تعليمات الجهاد بأمر رباني من الله

---

[1]- العياشي (ابو سالم عبد الله بن محمد)، **الرحلة العياشية**، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ج1، ط1، دارالسويدي للنشر والتوزيع، ابوظبي، 2006، ص76.

[2] Mercier(ernest).op.cit,p193.

[3]- لقد اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن المهدي من الخلال سبعة أحاديث حسب ما يذكر بعض المؤرخين والمحدثين، ولعل أشهرها الحديث الذي رواه سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم:(المهدي مني اجلى الجبهة، اقنى الالف، يملا الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، يملك سبع سنين)، أبي داوود، السنن، ج2، ص207، إيماني (حمدية الفقيه)، الإمام المهدي عند أهل السنة، ج1، ط2، دار التعرف للمطبوعات، بيروت، 1402هـ، ص15.

[4]- عن تلك الأحاديث راجع مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي قراق للطباعة والنشر، 2005، ص201.

تسبحانه وتعالى، ورسخ فيهم فكرة العصمة وانه لا يمكنه أن يخطئ أو يزل لان الرعاية الربانية تحرسه وترشده دوما، وهو ما ولد لإتباعه فكرة انا بن أبي محلي إنسان غير عادي[1]

في البداية، لم تكن أنصار احمد ابن أبي محلي، بالعدد الكاف المقاتلة المولى زيدان بن المنصور، كما كانت جموعه تفتقر للتنظيم والتخطيط والتدريب والتسليح، مقارنة بجيش الموالى زيدان، إلا انه تمكن من لاستيلاء على مدنية سجلماسة والقضاء على عاملها المسمىً الحاج المير" والي المولى زيدان السعدي، وكان في خمسة ألاف من المقاتلين [2]، وهذا النصر هي الذي حمس أنصار الفقيه احمد بن أبي محلي، وخاصة بعدما، أكد لهم هذا الأخير بأنهم لن يانهزموا أبدا، وان الرصاص سيقع على أصحابه بردا وسلاما [3]، وهو السبب الذي جعل جموع الشراقة[4]، الساكنين في سجلماسة، تدخل في صفه، وهم حوالي 5000رجل[5].

ولا تكتلت حول ابن أبي محلي الكثير من قبائل العربان المحاذية المدينة، اتجه نحو الأماكن الممتنعة التي لم تخضع للمولى زيدان ولا حتى للمولى المنصور الذهبي[6]، وهم سكان الجبال، معظمهم بربر، وبعدها خرج ابن أبي محلي من سجلماسة متوجها إلى مدن الشمال المغربي، فعبر جبال الأطلس الكبير فخضعت له الكثير من الناطق النائية الجبلية والمنعزلة التي لم تخضع يوم إلى الدولة السعدية [7]، ويذكر السيدان.s.r وg.b ان هذه القبائل شرسة جدا في القتال، ولها أساليب قتالية تعتمد على الكر والفر والكمائن، والعصابات، ألا أن ابن أبي محلي فتح الكثير من تلك المناطق دون حرب، وذلك أن الناس يفرون خوفا

---

[1]–Mercier (ernest) .op.cit.p193.

[2]– محمد الصغير الوفراني، المصدر السابق، ص207

[3]– نفسه،، ص207.

[4]– وهم مجموعة من الفقراء لهم طابع متوحشة، والهم اعتقادات فاسدة، وهم بقايا سيدي احمد بن يوسف الملياني، راجع بن عسكر محمد، ص124 وما بعد، احمد الناصري، ج5، ص50 .

[5]– زهرة اخوان، المرجع السابق، ص147.

[6]– محمد الصغير الوافراني، المرجع السابق، ص206 ومابعدها

[7]– زهزة اخوان، المرجع السابق، ص 148

وهربا بعد ما ينجلي لهم، ويدخل الباقي منهم تحت رايته، وقد شاهد ذلك عدد من لانجليز الذين كانوا

حاضرين هناك [1].

لقد واجه احمد بن أبي محلي قائد المولى زيدان وهو عبد الله بن المنصور الذهبي، هذه المرة في نواحي درعة، فهزمه ابن أبي محلي، وواصل مسيرته إلى العاصمة مراكش في الوقت الذي تذكر فيه نص رسالة السيدان s.r وg.b أن المعركة كانت قريب مدينة مراكش ويذكر محمد الصغير الو فراني واحمد بن خالد الناصري أن المعركة كانت في درعة، والظاهر أن هناك معركتان خاض هما احمد ابن أبي محلي الأولى في درعة، والظاهر أن هناك معركتان خاضهما احمد ابن أبي محلي الأولى في درعة بقيادة عبد الله بن احمد المنصور ومحمد بن الزبير، بينما كانت المعركة الثانية بقيادة عبد الله بن المنصور، وهي التي قتل فيها، وانسحب جراءها المولي زيدان إلى أسفي [2].

هذا التقدم الذي أحرزه ابن أبي محلي على المولى زيدان جعل من القائد يونس الايسي يتخلى على مولاه زيدان، قاصدا ابن أبي محلى، فدله أسرار زيدان، وحرضه إلى على الهجوم على العاصمة مراكش ذاتها، فقدم ابن أبي محلي إلى مدينة فتصدى له الموالى زيدان خارجها حسب السيدان s.rوgb*، وكان المولى زيدان أكثر عددا، وأحسن تنظيما وأقوى تسليحا، إذا كان يحارب بثلاث وثلاثين قطعة من المدفعية، بينما جيش ابن أبي محلي كان اقل تنظيما ولا يعتمد إلا على اسحلة بسيطة، فلما رأى الأعراب قوة جيوش زيدان دب فيهم الخوف لا، لكن ابن أبي محلي حاول تشجيعهم وأقنعنهم من جديد أن الرصاص لن

[1]–محمد الصغير الوفراني، المصدر السابق، ص207

[2]– مصدر نفسه، ص207 .

*– قصة هذه المعركة يذكرها كل من المؤرخين الوفران، والناصري، الا انهما يشيران الى ان درعة هي مكان المعركة، راجع محمد الصغير الوفراني، المصدر السابق، ص 207 احمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص30.

يصيبهم [1]، وخرج من مخبئه مناورا دون أن تصبيه أي من طلقات الرصاص ولا طلقات المدفعية، وهجم ابن أبي محلي بمقاتليه على مواقع جيش المولى زيدان فاحرقوا بعضا من القطع المدفعية، ودارت الدائرة على جند المولى زيدان، وقتل قائدهم عبد الله بن احمد المنصور – الملقب بالزبدة – وكذا القائد احمد بن الزبير، وكانت حصيلة القتلى في تلك المعركة مابين 4000و5000 رجل، بينما اسر المغاربة والمسيحيين الذين لهم خبرة في استخدام المدفعية [2].

وعلى اثر هذا التطور السياسي الملحوظ في المغرب الأقصى، حدث تغير في العلاقات بين المغرب الأقصى والجزائر، أذاننا نجد أن هناك تقدم في العلاقات بين الطرفين خاصة بعدما اقبل وفد من علماء تلمسان والراشدية *، لتهنئة أبي محلي لا نتصارخ على بقايا الأسرة السعدية في مراكش، وكان على رأس الوفد الشيخ الفقيه المحدث أبو عثمان سعيد المدعو قدوره الجزائري [3]،وقد تطرح هذه القضية العديد منن التساؤلات والإستفهامات حول مغزى قدوم هذا الوفد من العلماء، وعن سبب قدومه، إلا انه في الواقع الحالي لا يمكن أن نجزم بان الغرض من قدوم هدا الوفد كان سياسيا، إلا انه من الواجب أن نشير بان العلاقة بين الجزائر والمغرب الأقصى كانت متوترة نوعا ما فيهما يخص رسم الحدود الشرقية للمغرب الأقصى [4].

---

[1]–اقنع احمد بن أبي محلي أتباعه بأنهم منصورون لا حالة رغم قلة عددهم، إذا لم يكن عددهم يتراوح إلا بين الأربعمائة أو الخمسمائية مقاتل، مسلحون بساحلة تقليدية غير نارية، كما حاول أن يقنعهم بان رصاص العدو لا يمكن أن يصيبهم، ولن يخترق جلودهم .

Mercier (ernest) .op.clt . p 192.

[2]– زهرة أخوان، المرجع السابق، ص 142 .

منطقة في المغرب الجزائري قرب مدينة المعسكر، اشتهرت مكنها الكثير من العلماء والأعلام في العهد العثماني، منهم، محمد بوجلال، الطاهر بن حواء، مصطفي بن زرفة، ابن سحنون، أبو راس الناصر المعسكري، للمزيد حول هؤلاء راجع أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ج2، المرجع السابق.

[3]– احمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص30

[4]–محمد الطمار، المرجع السابق، ص23

بعدما انهزم المولى زيدان فر إلى شمال المغرب وبالتحديد إلى ثغر أسفي، رفقه بعض قياديه، وأهله، وأهمهم عبد الله قادر المدعوً بن يزه، وعبد الله الصدوق، واليهودي إبراهيم بن وأعيش، بالإضافة إلى أمه وعدد من الحريم، واخذ معه مكتبته الضخمة، وراح يحث سكان النوائي والأرياف للمحاربة معه ودفع لهم الكثير إلا أنهم يفوا بوعودهم[1].

في هذه الأثناء حاول الطرف الاسباني التدخل لصالح المولى زيدان، فبعثوا إليه مائتان من المقاتلين، ألا انه رفض تلك المساعدة [2]،وردهم ردا حسنا[3]، أما عن حال ابن أبي محلي والذي اعترفت له جل عمالات المغرب الأقصى بالحكم، فقد أصبح اقرب إلى حياة الملوك منها إلى حياة النساك والزهاد، فقيل انه تزوج أم زيدان[4]، وقيل أرملة أبي والأرجح أنها أرملة المولى أبي فارس، وبعدها قدم إليه جمع من الفقر يهنئونه بالملك، ويذكرونه بما قام من اجله من الأمر بالمعروف والنهي عن النكر والعودة إلى الدين الصحيح والسنة الحقة[5] بعدما استتب الأمر لأحمد بن أبي محلي، أفصح عن مشاريعه القادمة، ما تطمح إليه نفسه وحاول رسم مسار وأبجديات دولته الجديد، فحسب رسالة السيدان s.r و g.b فقد استمال بعض الرجال البلاط السعدي وعفا عما صدر منهم، مثل القائد عزوز بن سعيد المزوار الوزكيتي المشهور بولد مولات الناس[6]، والشيخ الزينبي والشيخ الجلاوي وعدد أخر من الأولياء والفقهاء[7]، وأعلن ابن أبي محلي انه جاء لتطهير الدين من ما يشوبه من تصرفات العباد

---

[1]– زهرة أخوان، المرجع السابق، ص 143

[2]– يبدو أن المولى زيدان رفض تلك المساعد خوفا من معارضة الجنود والقادة، وذلك أن الاستعانة بالاعداء النصاري، تقلل من شأنه، كما أن مثل هذه الخطوة حجة شرعية من شأنها ان تفسخ عقد بيعة القبائل الموالية

[3]– احمد الناصري، ج6، المصدر السابق، ص36

[4]– يذكر السيدان s.rوg.b في رسالتهما أن الموالى زيدان لما غادر على أسفي اخذ معه أمه، زهرة إخوان، المرجع السابق، ص143.

[5]– وقد استقبلهم احمد بن أبي محلي استقبالا مميزا، واتعظ من كلامهم فبكى، محمد الصغير الوفراني، المصدر السابق، ص ص، 207، 208

[6]– محمد بن الطيب القادري، ج3، المصدر السابق، ص 16/12

[7]– زهرة إخوان، المرجع السابق، ص 145

وانه سيستعيد المناطق التي استولى عليها النصارى، مثل العرائش وسبته[1]، وطنجة، وكذا غرناطة وكامل الأندلس، وأكد للجميع انه ستصدر عنه كرامات وخوارق كثيرة، من بينها انه سيفتح فرنسا وايطاليا، وسيقيم السلم في العالم، وسيحكم أربعين سنة ويظهر بعده المسيح عيسى عليه السلام [2].

حاول ابن أبي محلي أن يقيم شرع الله وسنة النبي الصحيحة، وإقامة العدل في دولته، والاحتكام الر الدين الصحيح، وانتهج نظاما اقتصاديا اسلاميا جديد يعتمد على الزكاة والتطوع، والسخرة، إلا أن هذا النظام لقي معارضة من قبل أتباعه من البدو الأعراب وطائفة الشراقة، ولكن رد ابن أبي محلي كان قاسيا، فقد رد على بعض الأعراب الذين قدموا للمطالبة بمستحقاتهم من الحبوب والخيل والمواشي والأموال، فأجابهم بأنهم يكفيهم إقامة السلم ولامن في ربوع البلاد، وهذا أهم مقابل يمكن أن يناله الإنسان في دولته، كما هددهم ب استعمال القوة إذا سولت لهم أنفسهم بمعاودة التنطع والتطرق إلى هكذا مواضيع [3].

في الوقت الذي نجد فيه المولى زيدان يستعد لتنظيم صفوف إتباعه، واستنجاده بالشيخ أبو زكريا يحي الحاحي [4]، وتحضيره للإغارة على مدينة مراكش، فقد رابطت جنود المولى زيدان وجنود أبي الحسين محمد بن علي [5]، على مقربة من مدينة مراكش، وهو الأمر الذي أصبح يزعج ابن أبي محلي، فبعد انا عجز عن طردهم حاول نقل محلته إلى مكان بعيد، قد مسافته السيدان g.b وs.r بحوالي خمسة عشر يوما، تزامنت هذه الإحداث مع تخلي الكثير

---

[1]– للمزيد عنها راجع السيتي (محمد بن قاسم الأنصاري)، **اختصار الأخبار عما كان بسبتة من سني الآثار**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباطّ ، 1983

[2]– نفسه، ص144

[3]– زهرة إخوان، المرجع السابق، ص145.

[4]– نفسه، ص146.

[5]– احد الأمراء السعديين، وهو من نسل احمد الأعرج السعدي، راجع عنه محمد الصغير الوفراني، المصدر السابق، ص195

من أتباع ابن أبي محلي عنه، ومن أهم من تخلى عنه هم طائفة الشراقة [1]، والكثير من القادة الآخرين مثل القائد سعيد الذي فر مع ستمائة من الرجل.

4-نتائج وانعكاسات ثورة ابن أبي محلي:

لقد أسفرت أحداث ثورة ابن أبي محلي على الكثير من النتائج السلبية، وذلك لان كامل مشاريع ابن أبي محلي – بناء الدولة، تنظيمها وسياستها الداخلية والخارجية – قد انتهت بوفاته، وتتمثل نتائج ثورة ابن أبي محلي فيما خلفته من القتلى، فرغم أن المصادر لا تشير إلى عدد الضحايا، إلا أنها تشير إلى أن عدد القتلى كان كبيرا في تلك المعارك، ولقد أثرت هذه الثورة تأثير سلبيا على الوضعين لاقتصادي ولاجتماعي، فقد صاحب تلك الثورة غلاء فاحشا في الأسعار وقلة في الإنتاج، كما أن هذه الثورة أثرت تأثير سلبيا أيضا في سمعة الفقيه احمد بن عبد الله السجلماسي الفيلالي، ذلك إن الكثير من الناس اعتبرته خارجا عن القانون، واعتبرته العامة من غير أتباعه انه رجل مهوس ينشر الرعب والقتل في المجتمع المغربي، إلا أن البعض منهم وعلى رأس هؤلاء اعتبروه حاول إصلاح الأوضاع المتردية فلم يتم له ذلك، لهذا قيل فيه: (قام طيشا ومات كبشا)[2]، ويذكر محمد بن الطيب القادري أن تأثير ابن أبي محلي فينفوس إتباعه عميق جدا، فكانوا يؤمنون بعصمته على أساس أن المهدي معصوم وله قدرات خارقة، حتى أنهم لم يتقبلوا فكرة موته فكانوا بعد أزمنة طويلة من تاريخ وفاته ينتظرون ظهوره من جديد، وربما بقي البعض منهم إلى زمن القادري – نهاية القرن الثامن عشر الميلادي –، وخاصة أهل منطقة وخاصة أهل منطقة وادي الساورة [3].

[1]– كانو متميزين عن غيرهم في ساحات المعارك، فأغلبهم مشاة، مسلحين بحراب قصيرة، رؤوسهم عارية، لا يرتدون قمصانا او ثيابا، بل يلبسون حياكا يلتفون فيها، زهرة إخوان، المرجع السابق، ص149

[2]– محمد بن الطيب القادري، ج3، المصدر السابق، ص1210

[3]– المصدر نفسه، ص1212.

5-نهاية ابن أبي محلي:

لم يبق مع احمد ابن أبي محلي إلا الرعاع، والبطالين، والمغامرين، وذلك أن معظم الشخصيات التي كانت تسانده رحلت، وأما تخليا عنه، وأما تسريحا منه لهم لانتهاء مهمتهم، لذا فقد بقى مع ابن أبي محلي جموع غير منظمة، ولا تعرف في الحرب إلا لاندفاع، في حالة الغلبة والفرار في حلة الهزيمة، ولما أيقن المولى زيدان بأنه قادر على هزيمتهم، كتب إلى الشيخ أبي زكريا يحي الحاحي وإتباعه، وذكره بان بيعته في رقابهم، فخرج هذا الخير يقود الجيوش التي زحفت إلى مراكش فكتب له ابن أبي محلي مايلي:(بسم الله الرحمن الرحيم من احمد بن عبد الله إلى يحي بن عبد الله أما بعد فقد بلغني انك جندت وبندت وفي فم تانوت نزلت الهبط إلى الوطاء ينكشف بيننا الغطاء فالذئب ختال ولساد صوال ولأيام لاتستقيم إلا بطعن القنا وضرب الحسام والسلام)، وفرد عليه أبو زكريا يحي الحاحي: (من يحي بن عبد الله إلى احمد بن عبدا لله أما بعد فليست الأيام لي ولا لك إنما هي للملك العلام وقد اتيتك بأهل البنادق الأحرار من الشبانة ومن انتمى إليهم من بني جرار ومن أهل الشرور والبؤس من هشتوكة إلى بني كنسوس فا لموعد بيني وبينك جيليز هنالك ينتقم الله من الظالم ويعز العزيز)، وكان اللقاء عن جبل جيليز قرب مدينة مراكش، فكانت أول رصاصة في صدر ابن أبي محلي فمات لتوه، وتطاير رجاله خوفا وتراجعوا وتفرقوا، وأصاب منهم الشيخ الحاحي عدد كثير، أما ابن أبي محلي فقد احتز رأسه هو وبعض قياديه، وعلق على باب سور مدينة مراكش حوالي اثنيا عشر سنة وحملت جثته فدفنت بروضة الشيخ أبي العباس السبتي تحت المكتب المعلق هنالك عند المسجد الجامع وزعم أصحابه انه لم يمت ولكنه تغيب قال اليفرني: (وحديثي من اثيق به من أهل وادي الساورة إن فيهم إلى ألان من هو على هذا الاعتقاد)[1].

[1]- محمد الصغير الوفراني، المصدر السابق، ص209، محمد بن الطيب القادري، ج3، المصدر السابق، ص1214

الفصل الرابع
الحركة العياشية

1-حركة أبو عبد الله العياشي

على غرار حركة ابن أبي محلي هناك من تزعم حركات جهادية ضد الأسبان والبرتغال إلا أنها اقل وزنا من الأولى، ذلك أن تجربة ابن أبي محلي في السياسة فريدة من نوعها، لأنها استطاعت افتكاك السلطة من الأسرة السعدية ولو لفترة ثلاث سنوات إلا ربع، ولعل أهم الحركات الجهادية في الفترة المدروسة والفترة التي تليها هي حركة أبو عبد الله العياشي.

هو الولي المجاهد أبو عبد الله العياشي نسبة إلى أولاد عياش الزعبي الهلالي، ولد سنة 1563 م تعلم على يد علماء سلا عرف بعلمه وورعه وتقواه واستماتته في مقاتلة المسيحين (1633/1603)، قام أبو عبد الله العياشي رافعا لمقاومة الإحتلال وتحرير الثغور المغربية فحين عجزت الدولة السعدية عن حمل ولاء الجهاد، بدأ العياشي ينظم حملاته ضد الإسبان والبرتغاليين والأهم من السلاطين السعديين، ورغم أن العياشي كان له بعض الأعمال الجهادية إلا أنه لم يظهر على الساحة السياسية بجدارة إلا بعد سنة 1022هـ /1613 وهي سنة وفاة كل من المولى محمد الشيخ المأمون ابن المنصور الذهبي وكذلك إبن أبي محل السجلماسي[1]، كان نشاطه الجهادي في الشمال وخصوصا في سبتة وطنجة وومليلية والعرائش[2] .

شارك في غزوة البريجة سنة 1020هـ /1611 م التي قتل فيها مايقارب 1000 إسباني وغزوة حلق الوادي 1023 هـ / 1614 م، وغزوة وادي العرائش 1040هـ/1630م[3].

فأول مشواره الجهادي كان بعد أن وجهه شيخه عبد الله إبن حسون إلى داكلة سنة 1009 هـ - 1600م لمواجهة الوجود البرتغالي في بريجة [4]، وهناك أقام إحدى عشر سنة

---

[1]- محمد إبن الطيب القادري، ج 3، المصدر السابق، ص 12-16

[2]- نصر الدين السعيدوني وبوعبدلي المهدي وآخرون، **معجم مشاهير المغاربة**، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعي - الجزائر 1995، ص 401

[3]- نفسه، ص 403

[4] محمد إبن الطيب القادري، ج 4، المصدر السابق، ص 1403.

مرابطا ومقاتلا يتبع حروب الكر والفر وحروب الكمائن [1]، وقد أكمل أبو عبد الله العياشي جهاده ضد الإسبان والبرتغال بعد سنة 1022 هـ /1613 م حتى سنة مقتله على يد الثوار الدلائيين جنوب القصر الكبير في شعبان 15051هـ – 30 أفريل 1641 م [2].

لا يبدو أن أبا عبد الله العياشي له رغبة في أي نشاط سياسي، إلا أن نشاطه إقتصر على محاربة الإسبان والبرتغال في عرض البحر، ومحاولة تخليص المدن المغربية المحتلة،/ لذا فهو لم يحتك بصورة أو بأخرى بالمولى زيدان، فالمصادر التاريخية لم تذكر أنه تواجها في معركة ما، كما لم تذكر أن أبا عبد الله تلقى دعما ومساندة من قبل المولى زيدان ابن أحمد ويذكر أن الفقيه أبا عبد الله العياشي قد تلقى معارضة هو الآخر من بعض الشخصيات الدينية الكبيرة في الجزائر وهو يحي الشاوي المليانى ومن المعروف أن يحى الشاوي كان سليط اللسان على الكثير من معاصريه، إذ قال الشاوي عن العياشي: (و قد فسد أمر المغرب بعدما فشى فيه أمر أبي عبد الله العياشي)[3]

يعتبر أبو عبد الله العياشي من أهم الشخصيات التي ساهمت في تغيير الوضع السياسي في المغرب الأقصى في بداية القرن الحادي عشر هجري والسابع عشر ميلادي، سيما بعد سنة 1022 هـ / 1613 م.

[1]– شوقي عطاء الله محمد العياشي وجهاده ضد الأسبان والبرتغال، **المناهل**، الصادرة عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، عدد 09، المغرب، 1977، ص 118

[2] –أحمد الناصري ج 06، المصدر السابق، ص 62

[3]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 2، المرجع السابق ص 104–105

2-الأسباب الكبرى للحركة العياشية:

اولا : الغزو الأجنبي: يشكل القرن 15 للميلاد فترة تحول في علاقات المغرب بأوروبا المسيحية، وبعد أن كانت العمليات العسكرية تتم باتجاه جنوبي شمالي وبعد انتهاء العمليات في الغالب بانتصار المغرب وهكذا شهد المغرب فقدان بعض من ترابه لصالح دولتي ايبيريا واسبانيا والبرتغال فقد احتلت سنة (1415) وطنجة (1461) والعرائش (141[1])

وقد اتخذت دولة ايبيريا هذه المدن في بعض الأحيان نقطة إنطلاق حيث بلغ ذلك أقصاه حول مدينة أسفي التي غدت عاصمة لإقليم برتغالي وقد أوقفوا عملياتهم التحريرية بمجرد أن استتب لهم الملك، فظلت مليلية وسبتة وطنجة في أيدي الأجانب. وقد ضعفت دولتهم في أنظار الدول الأوروبية فاستعمرت اسبانيا العرائش والمعمورة وأخرى تبحث عن مناطق نفوذ حيث ظهرت فرنسا وهولندا في مرسى أيبر وحتى انجلترا في سلا ومحاولة اسبانية في أسفي.

وقد كانت لرغبة أوروبا في الاستيلاء على البلاد مجموعة عوامل نذكر منها:

1-المكانة التي يشغلها المغرب في خريطة العالم الاقتصادية:

المغرب لا يزال يحاول التمسك بدور الوساطة الذي كان يلعبه بين افريقيا وأوروبا، حيث ما زالت كميات من الذهب تصل من موانئ المغرب، وهذا في وقت احتلت فيه أوروبا السواحل الغربية لإفريقيا، حيث ترى أوروبا أن وضع يدها على موانئ المغرب البحرية وسيلة لخنق التجارة المغربية الخارجية. كان يستفيد منها بتصدير مستورداته من افريقيا (عاج، تبن، ريش، مواد صباغة) إلى أوروبا. ومن هنا تظهر ضرورة قضاء أوروبا على دور الوساطة بالذي يلعبه المغرب بينها وبين إفريقيا.

[1]-عبد اللطيف الشاذلي،**الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17**، ص15

-تشكل موانئ المغرب وخاصة الأطلسية منها نقط استراحة مثالية بالنسبة لحركة التجارة الأوروبية بين إفريقيا وأوروبا والعالم الجديد. حيث لجأت لوضع يدها على الموانئ لغايتين:

-الأولى: تامين إمكانية استعمالها كنقط استراحة وغير مكلفة ولهذا ما لا يتحقق فيها حتى لو زادوا تكلفة التجارة. والثانية: اجتناب وقوع تلك الموانئ في يد دولة أخرى من الدول الأوروبية ولهذا يجعل وضعيتها في يد وقوع القراصنة.

وهذا أخطر من أن يضعه الموانئ الأطلسية المغربية في الغالب وضعية تلاءم القرصنة كبير الملائمة باعتبار أنها تقع على مصبات الأنهار حيث تشكل الملجأ الطبيعي للسفن الخفية في حالة فرارها أمام السفن العسكرية الأوروبية التقليدية وهذا تلاءم مع وقوع الطريق التجاري الرابط بين العالم الجديد وأوروبا.

-والمغرب يشكل أخيرا منطقة مأهولة أي منطقة تشكل سوقا للاستهلاك ومنطقة يتعاطى سكانها نشاطات مختلفة وتجدر الإشارة هنا إلى ذلك. المنفعة التي كان بالإمكان أن تجنبها أوروبا من المغرب ظلت بسيطة ببساطة أهمية المغرب المرتكلية حيث لو قورنت بإمكانيات البلاد المكتشفة من طرف أوروبا في العالم الجديد أو الشرق الأقصى ولم يكن التغيير ازدياد في إمكانيات الغربية، حيث بدأت دول شمال أوروبا وبريطانيا وهولندا وفرنسا في تشجيع المعامل المنتجة لسلسلة من السلع مثل المنسوجات المتنوعة والصابون والأواني والأسلحة... الخ

-هذا ما يعطي انطلاقة نشاط تجاري يعنى بالبحث عن الأسواق والمواد الخام. أصبحت له قدرات استهلاكية، كل هذه العوامل تفسر نظرة جديدة بدأت أوروبا تنظر بها إلى المغرب غبر أن هاته العوامل كانت تدعو الدوال الأوروبية نظريا إلى التعاون لأقسام الموانئ المغربية فيها وعلى تحقيق الحصول على الموانئ حيث كانت الدول الأوروبية تتنافس فيما

بينها وتقدم المساعدة والمساندة للمغرب للاحتفاظ بكامل استقلاله مقابل تنازلات بسيطة، حيث يخضع المغرب للاحتفاظ الكامل أو بعضه لدولة أخرى.[1]

-جو النزاع المستمر الذي يطبع العلاقات للدول الكبرى في أوروبا الغربية يوحي إلى بعض تلك الدول باستعمال المغرب لترجيح كفتها:

-يقتصر الحديث في كل هذا الباب على الدول الأوروبية الغربية التي كانت لها علاقة ما بالمغرب وهذه الدول أربعة: فرنسا – بريطانيا – هولندا واسبانيا وتعطى على السياسات الخارجية لهذه الدول كمثال:

- مشكلة الحدود السياسية التي تتمثل فيلا شكلها البسيط في الرغبة في تأمين الحدود.

2- مشكلة النزاع الديني المترتب عن الإصلاح الديني:

حيث انقسمت أوروبا إلى معسكرين أحدهما بروتستانتي تتزعمه بريطانيا والثاني كاثوليكي تتزعمه اسبانيا.

- مشكلة التنافس الاقتصادي بين مختلف هذه الدول حيث تعرف بريطانيا نفس السياسة الاقتصادية بينها تأتي فرنسا في المرتبة الثالثة أما اسبانيا لا تزال تظهر من الدول الأوروبية العظمى ويساعدها في ذلك مساحتها الواسعة وممتلكاتها بالإضافة إلى جزر المتوسط وبعض موانئ المغرب والجزائر، ومن هنا يظهر أن التنافس كان منتظرا بين دول المجموعة الموالى التي تتشابه اتجاهاتها الاقتصادية مع ملاحظة أن تنافسها يأخذ صيغة سلمية بعيدة بعد أن استعمال قوة وإتباعها طريق خاص بها قوامه استعمال القوة أي الاحتلال العسكري عوضا عن التوسع الاقتصادي[2].

حيث نجد حرب الثلاثين سنة (1617-1648) تتواجه فيها من الدول التي لها علاقة بالمغرب وفرنسا واسبانيا حرب ناتجة عن انفصال الأقاليم المتحدة عن اسبانيا فأدت إلى نشوء الحرب ورغم أن الطرفية توصلا إلى هدنة (1609-1621)، وكان من بين الوسائل

[1]-عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص20

[2]- عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص22

التي اتبعتها الأقاليم المتحدة التقرب من عدو تقليدي لاسبانيا، وعلى ذلك سعت هولندا إلى ربط صلات ودية بالمغرب، وتوصلت إلى ذلك فعلا عندما عقدت مع زيدان اتفاقية صداقة بتاريخ (1610) وذلك رغبة اسبانيا في ربط علاقات ما مع المغرب أسباب أخرى أولهما: (أن لاسبانيا تقاليد في سياستها الخارجية إزاء المغرب تتمثل في تفكير اسبانيا في نقل ميدان الحروب إلى الشاطئ المغربي مقابل الحصول على جزء من البلاد) وثانيا: (يدخل في إطار السياسة التي اتبعتها اسبانيا منذ بداية القرن 16 عندما بدأت الإمبراطورية التركية تنتشر باتجاه إفريقيا الشمالية.

ومن الضروري قبل الانتهاء من الحديث عن الأطماع الأجنبية في المغرب نخصص فقرة خاصة للحديث عن علاقة المغرب بالدولة العثمانية.

وقد كان من المنتشر أن تستغل الإمبراطورية العثمانية جو النزاع الذي عرفته البلاد بعد وفاة المنصور الذهبي للوصول إلى غايتها التقليدية.

-ويضاف إلى هذه العلاقات اتصال ثاني بين زيدان والباب العالي وقع عندما وجه زيدان هدية إلى اسطنبول طالبا المدد. لكن لم تنجح العملية، فيظهر إذن أن الإمبراطورية العثمانية وإن كانت لا تزال تحافظ على سياستها التقليدية إزاء المغرب وفي القرن 17 خرجت ولايتها الجزائر وتونس بشكل خفي من سلطة الأتراك وان كانت الولايتان لا زالتا تظهران التبعية للسلطان العثماني فوضع الجزائر كان مضطربا ولهذا نتيجة النزاعات المستمرة بين عناصر ثلاثة هي الانكشارية والباشا الممثل للسلطة العثمانية، والحزب البحري. المكون من القراصنة، ويظهر إذن من كل ما سبق أن مجموعة من الدول منها الأوروبي ومنها الغير أوروبي طانت لها أطماع في المغرب والحصول على البلاد القوة وجزء من البلاد هي اسبانيا.

فما دامت نية هولندا استعمال السواحل المغربية للتضييق على التجارة الاسبانية وهدفها التوسع وقربها من المغرب يعتبر عاملا مساعدا لتسهيل ذلك التوسع.[1]

ثانيا: عمليات التوسع الاسباني في المغرب:

نصت اتفاقية 1979 بين مملكة البرتغال ومملكة قشتالة على اعتراف الثانية للأولى بحقها في احتكار الساحل الإفريقي الغربي ومملكة فاس حيث لم يكن لإسبانيا في المغرب إلا قاعدة واحدة وهي مليلية التي استعمرتها في 1497.

والجدير بالذكر أن مجهودات الدولة السعدية في بداية الظهور نجحت في تحرير الكثير من المراكز التي كانت خاضعة للبرتغال واحتفظت على ثلاث قواعد هي سبتة وطنجة الجديدة بينما احتفظت اسبانيا بمستعمرتها القديمة مليلية، وإذا ألقينا نظرة على خريطة المغرب لوجدنا أن الموانئ المتبقية والتي يمكن أن تتجه إليها أنظار اسبانيا هي أصيلا والعرائش والمعمورة[2]

1- العرائش: منذ القرن 16 بدأت مفاوضات بين فيليب الثاني (1527-1598) وعبد الملك السعدي حول إمكانية تسليم العرائش للأول مقابل مساندته للثاني في نزاعه مع أخيه محمد المتوكل سنة 1575 وبعد ضم التاج الاسباني للممتلكات البرتغالية فكرت اسبانيا في الحصول على العرائش مقابل التنازل لأحمد المنصور الذهبي.

ولم تكن رغبة اسبانيا في الحصول على العرائش أمرا سريا بل معروفا للمغرب وللدول الكبرى وهذا ما جعل المغربيين يقومون بتحصين الميناء أما اسبانيا فترى أن العرائش تعدل وحدها سائر مراسي المغرب الفرصة التي حاول استغلالها بعض المغامرين للإعتناء ثم الاستحواذ على العرائش بالقوة لكن لم تنجح العملية ثم بدأت اسبانيا في التخطيط لسلب العرائش دون حرب فتكلف "جيانتيمورتارا" بتمثيلها في فاس 1608 كتب رسالة يذكر فيها استعداده للتنازل عن العرائش مقابل ما قد يتلقاه من المساعدة العسكرية واستعمل طريقتين :

[1]- عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص22

[2]- عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق ص: 23

1- اقتناع المأمون بضرورة التنازل عن العرائش مع إيهامه بعدم رغبة اسبانيا في استعمال قوة.

2- الإلحاح على اسبانيا في استعمال القوة باعتبار تردد المأمون في اللجوء إلى اسبانيا واقتناع اسبانيا والإسراع في وضع اليد على المدينة قبل مدينة أخرى[1].

وبعد فشل كل هته العمليات ظهر أن الحظوظ اسبانيا في الحصول على العرائش تضاءلت إن لم تكن انعدمت خصوصا وأن المأمون اعتقل الممثل الاسباني لمجرد وصول نبأ بداية الهجوم لكن الظروف جدت وجعلت المأمون يعيد النظر في موقفه حيث لحق المأمون ومورتارا بالعرائش على ظهر السفن الاسبانية لكن قائد المدينة يمنعه من النزول بها، وقتيل السفن الموافقة له. وكمحاولة من المأمون لإثبات حسن طويته يأمر باعتقال مورتارا مرة أخرى وحدثت عدة منازعات لكنها فشلت في إقناع سكان المدينة فلم يبقى للمأمون لزيدان وثورة أبي محلي على هذا الأخير رفعا أسهم المأمون، فعادت اسبانيا إلى الاهتمام له، فأذنت للالتحاق بالمغرب وغيرت موقفها من المأمون التقارب الكبير الذي كان بين زيدان والأراضي المنخفضة وتحصين العرائش في الوقت الذي عجزت فيه حملة اسبانية ثانية ضد العرائش 1610 بسبب عدم ملائمة الرياح ونزل المأمون بسبتة ومنها إلى القصر الكبير حيث حاول الوفاء بوعده لتسهيل تسليم العرائش من قبل أن يتخلى من سكانها وتسليم اسبانيا سنة 1610 وقد توصل المأمون مقابل ذلك على 200 ألف(5) دوقة و6000 بندقية[2].

2- في المعمورة: المعمورة نقطة تجارية اكتسبت أهمية كبيرة خلال القرن 16/10. فقد كثر تردد التجار إليها باعتبارها المنفذ الطبيعي لسهل المغرب الغني، وكانت تجتمع فيها، قبل التصدير ثروات ذلك لتسهيل من عسل وشمع وكتان وجلود وصوف.

[1]- احمد الناصري، المصدر السابق، ج5، ص190

[2]- نفسه، ص 30-31.

وفي إطار التوسعات الايبيرية خلال القرن المذكور اتجهت الأطماع البرتغالية إلى المعمورة حيث حاصرها اسطو لبرتغالي 1515.

وبتخلص المعمورة من البرتغال بدأت أهميتها تزداد بفعل حلول عناصر جديدة ذلك أن طبيعة السطح والعوامل مكنت القرصنة قد جر القرصنة بالمعمورة التجار بمختلف اختصاصاتهم بالإضافة إلى الوسطاء والبعثات الدينية المتخصصة في افتكاك الأسرى ولم تكن اسبانيا ترغب في البداية في أكثر من التخلص من خطر المعمورة دون استعمارها ورأت أن أحسن وسيلة لذلك هي العمل على منع السفن كيفما كانت من استعمال المرسى وفي إطار هذا هاته السياسة وجهت أسطولا نحو المعمورة 1611 اغراق 8 سفن محملة بالحجارة عند مصب النهر لكن الأسطول فشل في مهمته، وقد كان لهاته العملية الاسبانية رغم فشلها أثر كبير، فقد أوضحت من جهة أخرى أوضحت للدول المهتمة بالأمر إمكانية القيام بعمل ما ضد المعمورة ومن جهة ثانية ضايقت العملية هولندا التي كانت لها في المعمورة بالذات حيث قررت هولندا باتفاق مع زيدان وضع يدها على المعمورة وبناء حصن قوي بها، وفي هذا الوقت أمطر قائد المعمورة بمجموعة من العروض التي ترغبه في التبعية مقابل الاعتراف بوجوده وتأمين استقلاله، غادر ميناء قادش 1614 أسطول قوامه 99 سفينة عليها 7500 جندي في كامل الاستعداد ووصلت الحملة إلى المدينة في اليوم الرابع من نفس الشهر، حيث كانت المعمورة محصنة وبنوا حاجزا عند مدخل النهر لمنع أي سفينة من الدخول إلى النهر على أن الحملة الاسبانية توفرت بالصدفة على مجموعة من العوامل المساعدة فالسفن الهولندية المكلفة بتحقيق الاتفاق الذي سبقت إليه الإشارة مع زيدان والتي كانت ترابط منذ شهرين بين أسفي والمعمورة، وهكذا تمكنت القوات الاسبانية من الاستيلاء على الحصن صبيحة يوم 1614 وأعطوها اسما جديدا[1].

[1]– عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص33

ثالثا: خطورة الاستعمار الأيبيري بالنسبة للمغرب

يشكل احتلال اسبانيا لنقط على السواحل المغربية حدثا خطيرا بالنسبة للبلاد وتظهر هذه الخطورة على مستويين: سياسي وعسكري وآخر اقتصادي اجتماعي .

1- **على المستوى السياسي العسكري:**

يعني هذا فقدان المغرب لجزء من ترابه ممكنا لمزيد من الاحتلال الذي يعني في النهاية فقدانه لسيادته على كل أراضيه والاستقلالية، وذلك أن مواقع المدن المحتلة من طرف الأجانب مواقع تجعل ذلك المحتل يطرق من جهتين رئيستين كل البلاد.

كثير من المغاربة كانوا يرون في الوجود الأيسر مقدمات لاكتساح كل البلاد وهو النظرة تعبر دون شك عن رأي عام، فالذين وضعوها في هذا الإطار هم مجموعة من الفقهاء القضاة، ومن جهة أخرى كان الاستيلاء الآسيان على العرائش اعتبار خاص عند المغاربة، استيلاء دون حرب فظهرت بمظهرين[1] :

- احتلال دولة أجنبية لقسم من البلاد .

- تدخل دولة أجنبية في مشكلة مغربية داخلية وإذا كان الإحساس بخطورة هذا الاحتلال على المستوى السياسي والعسكري يتطلب لكي يظهر نوعا من الوعي فإن الإحساس بخطورته على المستوى الاقتصادي والاجتماعي يظهر لمجرد معاناة مظاهر التوسع.

2- **على المستوى الاقتصادي الاجتماعي:**

تظهر هذه الخطورة على 3 مستويات بعد كل منها الذي يليه وهذه المستويات هي:

-جور الاضطراب وعدم الاستقرار المترتب مباشرة عن وجود قوات أجنبية في نقط ما.

تنتمي هذه العمليات الخارجية في غالب الأحيان باصطدام المغاربة في شكل مناوشات كانت تنتهي بالإحقاق بعض مواشي وغيرها بسقوطهم في الأسر وفقدان ممتلكاتهم وهذا ما

[1]- عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص33

أدى إلى تخوف من المغاربة ومنه عقد هدنة مع الآسيان فهناتك ضرر مباشر وهو ما يتكبده المغاربة من خسائر نصفها بالمبالغة.. والثاني: الضرر الناتج عن محاولة أولئك المغاربة تلافي الاصطدام بالأجانب، وهذا ما يؤدي إلى الإحاطة بالتوازن الذي يتسم بكثير من الضعف في منطقة الغرب.

-تتميو الوضعية القبلية في منطقة الغرب في بداية القرن 17 بكثير من قلة الاستقرار الناتج مباشرة عن تصرفات السلطة السعدية دون الرجوع إلى الوراء، واتخذت عاملين.

-الأول: اعتبار المنطقة منطقة نادرة من السكان والثاني كون بعض القبائل المستقرة في المنطقة قبائل جيش

والثالث أن تأثير الوجود الأيبيري الجديد لم يقتصر على هذا المستوى على إقليم الغرب وحده بل عم سائر البلاد واحتلال الإسبان للعرائش والمعمورة للاقتصاد المغربي يظهر من خلال الملاحظات التالية:

أ) يشكل سهل الغرب الصلة الطبيعية بين الشمال والشرق والسهول الأطلسية ومنها نحو باقي الاتجاهات ووجدت ممر طبيعي.

ب) تشكل الطرق القاعدة الأولية لكل نشاط تجاري وقد عرضت المنطقة نشاطا تجاريا مهما باعتبارها الثورة المنطقة الفلاحية ووقوع مدنيين ضاعتين رئيسيتين عند هوامشها هما فاس وسلا.[1]

– وفي نفس الوقت يشكل سهل الغرب موردا مهما للكثير من المواد الأولية اللازمة لنشاط الصناعي الذي تعرفه سلا فهي تعرف عدة صناعات كالجلود والصوف والنجارة ومن هنا يظهر التضييق الذي تمارسه الوجود الايبيري قريبا من المنطقة والتضييق الذي يمارسه بشكل واضح الاتصال بين سلا والمغرب.

[1]– عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص34

وقد كان بالإمكان أن ينتج عن هذا القطع تركيز كبير لتيار التبادل بين المغرب وفاس وقد تم التعرف على الخراب الذي عرفته مدينة فاس.

بالإضافة إلى هذه التأثيرات التي تتميز باقتصادها على منطقة معينة من البلاد فإن الوجود الأيبيري الجديد في العرائش والمعمورة أثار فشمل جميع البلاد الأهم الموانئ المحتكرة في مليلية. أما الموانئ المتبقية محتكرة من طرف قوى سياسية جديدة تستفيد لوحدها منها مثل ماسة التي كانت خاضعة لسلطة أبي الحسون السملاوي، أما الموانئ التي يمكن أن تستعمل من طرف المغاربة فهي على ذلك أزمور وأصيلة فالظاهر أنها كانت لم تكن مستعملة كميناء حيث تحررت عندما غادرها البرتغال سنة 1550 ثم احتلت مرة أخرى سنة 1588 وعلى ذلك لم يبقى للمغرب الأطلسي إلا ميناء واحد هو أزمور وهو الآخر كان عرضة لهجوم البرتغال وهذا يعني أن الوجود الأيبيري في المغرب يشكل خطرا مباشرا.[1]

ردود الفعل المغربية:

1- عجز السعدين عن مواجهة الغزو الأجنبي: رغم الشكل الاستفزازي الذي اتخذته العمليات الاسبانية في المغرب (1610 و1614) ورغم الخطورة التي ينطوي عليها تلك العمليات فنلاحظ أن السلطة السعدية توقف عن القيام بأي عمل للرد على هذا التوسع فتوقف السعديين المتأخر بين عن الجهاد ما بين وفاة أحمد المنصور واحتلال العرائش (1603-1610) يعتبر توقفا اعتياديا، أما السفارة التي وصلتا إلى السلطان العثماني سنة (27 10 1617) فإنها لم تتمكن من تحقيق غايتها، ذلك أن السلطان بعث مع السفير المغربي رسالة جواب ملأها بكلام جميل وهواء وآخر محاولاته في تأسيس أسطول حربي واتصل بهولندا ونجح في الحصول على 03 قطع حربية. لكن المحاولة انتهت بدورها بالفشل بعد أن أغرقت وأتلفت اسبانيا القطع المذكورة.

[1]- عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص35 ص 37

ومن هنا نرى أن العمل الجهادي الذي كان من المنتظر أن تقوم به السلطة السعدية لم تخرج من حيز الأعداد.

ولم تقف سلبية أنباء المنصور عند حد التوقف عن الجهاد يل طغت على علاقات بعضهم مع الأجانب صفة المهادنة وإقامة علاقات طيبة مع زيدان وحاكم ..... السلطان بفرقة من 200 جندي وذخيرة.

*- وكانت هذه المهادنة تصل في بعض الأحيان إلى حد تحقيق المآرب الشخصية المتمثلة في الرغبة في الحصول على السلطة.

وقبل الحديث عن آثار موقف أبناء المنصور بشكل عام من الوجود الأجنبي لابد من محاولة التعرف على الأسباب التي جعلت هؤلاء السلاطين وهم المسئولون عن الدفاع عن البلاد.[1]

-أول أسباب عجز السعديين وتوقفهم عن مواجهة الغزو الأجنبي يتمثل في الوضعية السياسية التي عرفتها المغرب عقب وفاة أحمد المنصور 1603 إلى التزام زيدان بالإعراض عن أمر المغرب والاهتمام بما يقع جنوب أم الربيع 1610 دامت هذه المرحلة 07 سنوات.

-أما المرحلة الثانية فتعرف تعقدا في الأحداث كبيرا بسبب مشاركة شخصيات جديدة فيها: مثل: أبي محلي والحاجي وشخصيات ثانوية وتتصف هذه المرحلة بالاضطراب الكبير وبعدم تمكن الملوك الرسميين من ممارسة أية سلطة.

-أما المرحلة الثالثة (1626-1658): تتميز بتقلص سلطة السعدين لتشمل المناطق المحيطة بمراكش، وتتقاسم البلاد 03 قوى سياسية: أبو حسون السملاوي في الجنوب الغربي، والدلائيون في وسط وشرق البلاد والعياشي في الشمال الغربي والغرب حيث يظهر من خلال ما سبق أن هم السلاطين هو النفوذ بالسلطة.

[1]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 101

-كما أن ظروف هذا الاضطراب كانت تشكل أحيانا عائقا أما القيام بأي عمل جهادي وكانت اول النتائج لهاته النزاعات تقلص منطقة السعديين الفعلية وتجدر الإشارة هنا إلى صعوبة تعيين المناطق التي ظلت خاضعة فعلا للسعديين.

–فقد كان من بين أسباب توقف السعديين عن الجهاد دون شك افتقارهم إلى الأموال اللازمة لتنظيم أية عملية عسكرية.

4– أما السبب الرابع في تفسير توقف السعديين عن الجهاد فيتمثل في ضياع كثير من قدرات المغرب العسكرية.[1]

5– وكان أخيرا من العوامل التي أبعدت سلاطين السعديين عن التفكير في مكافحة الأجانب، مميزاتهم الشخصية التي كانت تظهر الكثيرين منهم في صفة تجعلهم بعيدين جدا عن الحصول على ثقة الرعية أو احترامها.

وقد ترتب عن توقف السعديين عن الجهاد وتفاصيل الأسباب التي أدت بهم إلى ذلك كثير من النتائج التي نلخصها في ما يلي:

1/ تعسف السلطة السعدية: ذلك أن حالة الحرب الدائمة التي كانت تخلف وضعية مزدوجة تؤدي دون شك إلى الظلم والتعسف.

2/ انهيار الثقة لدى الرعية: وكان مرد هذا الانهيار إلى مجموعة من العوامل تضافرت لتظهر عدم صلاحية ورثة المنصور لممارسة السلطة.

3/ ظهور حركة وطنية ودينية على المستوى الشعبي: من المؤكد أن موقف الرعية مما كان يدور في المغرب من الأحداث عقب وفاة المنصور كان موقف التذمر وعدم الرضا وهذا ما يمكن التعرف عليه من خلال ما كتب المغاربة في تقاليدهم.

[1]– أحمد الناصري، المصدر السابق، ج6، ص18

1) عائلة النفيس: رغم قرب المستعمرة البرتغالية (سبتة) من تطوان وانطلاق العمليات الهجومية منها ضد سكان المناطق المجاورة، هؤلاء على الاحتياط لأنفسهم عن طريق محاصرة البرتغال في قلعتهم والعمل على التخلص من وجودهم.

وقد خص محمد داود عائلة النفيس ودورها بقسم مهم من تاريخ تطوان، حيث أن رتبة المقدمة كانت متوارثة في هذه العائلة التي لعبت منها 10 أفراد الدور المهم الرئيسي في تاريخ تطوان والمناطق المجاورة لها بين 1597-1710.

2) عائلة غيلان: استقرت عائلة غيلان بشمال أزغار بعد قدومها من الأندلس في القرن العاشر الهجري، فيما يرجع وأول من استقر منها بالمغرب وعلى أية حل، فقد قام أبناء غيلان بعمليات كثيرة، لكن الذي سجل التاريخ بسيط جدا لا يمكن إلا من تتبع بعض تحركاتهم بشكل سطحي.

ومن المؤسف أننا لا نتوفر على المادة التاريخية اللازمة لتأكيد الدور الذي كان من المنتظر أن يلعبه غيلان في النشاط السياسي للمغرب ما بعد وفاة أحمد المنصور.[1]

3) أولاد أبي الليف: من العائلات التي استمرت بالشجاعة والنجدة في قتال العدو في زمن المنصور، كانت تقطن منطقة الهبط ونجد أنفسنا مرة أخرى إزاء الصعوبة إذ تخلو المصادر من أية إشارة إلى أولاد أبي الليف وواضح ان هذا لا يعني في شيء توقف هذه العائلة عن بعض عملها الجهادي.

إن الدور الرئيسي كان يلعب من طرف فئتين من المغاربة رجال التصوف، الجهاد. من بين أفراد الفئة الأولى شخصيات كانت تتمتع بشعبية ما في جنوب البلاد (الحاحي) أو جنوبها الشرقي (أبو محلي) أو في وسطها (الدلائي) أو في شمالها (الأغصاوي) إن أول ما يتبادر إلى الذهن هو أن العامل المشترك بين هؤلاء هو صلاح أخلاقهم وتفقههم في الدين وإقبالهم على العبادات بشكل يفوقون به باقي الناس. غير أن قليلا من التعمق يكفي للخروج

[1]- عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص 47 ص48

بموقف رجال التصوف رجال الدين تفقها يظهر لزوم تغيير ألمتكن، يظهر أيضا مغبة الخروج عن الإمام غير أن البعض الآخر شارك في الأحداث وتحمل مسئولية تدخله ذلك مع ملاحظة أن ذلك التدخل اتخذ في بدايته شكلا بسيطا كما وضحنا ذلك من قبل.

ثانيا: إن موقف الشخصيات المذكورة كان تعبيرا عن موقف ما يسمى بالعامة أي موقف الرأي العامة ولا نتصور كيف كان بالإمكان لأي فرد من الذين تصدوا لتغيير المنكر القيام بعملية لو لم يكن ورائه من يسانده حيث نجد جيش أبي زكرياء الحاحي يمتنع عن الإقامة في مراكش بعد أن أدى مهمته التي دعي إليها.

ثالثا أن موقف المتخذة من الوضع لم تكن فريدية بل تدخل في إطار تنظيم عام لمواجهة الموقف المضطرب.

تربط بين رؤوس الحركة الصوفية خلال الثلث الأول من القرن 10 ه طلاق وعلاقات متنوعة وأول تلك الصلات تلك المتمثلة في الانتساب إلى نفس المدرسة التصوفية فالحركة الصوفية في المغرب جذور ترجع على الأقل "04" وبذلك يظهر ان الحركة الصوفية كانت إلى هذا الحد قرعا لحركة التصوف في المشرق غر أن حلول القرن 07 للهجرة يعطي حركة التصوف المغربية دفعة جديدة عندما يوحد أبو الحسن الشاذلي ما بين مبادئ شيخه عبد السلام بن مشيش ومحمد بن حوزهم ليخرج بطريقة جديدة عرفت باسم الشاذلية.

وتظهر علاقة أخرى تربط بين رجال التصوف على مستوى ثاني ذلك أن رجل اقبل ان يغير اتجاهه نحو الفقر.

-فيظهر من كل ما سبق أن الحركة الصوفية لعبت دورا مهما في توجيه تاريخ البلاد وجهة معينة بعد ظهور ضعف أبناء المنصور وأكد ضعفهم عن تسيير الحياة العادية ومعنى ذلك أن الحركة الصوفية شكلت قوة سياسية في المغرب القرن 17 إلى قيام العلويين.[1]

[1] – عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص 49.

2-مراحل الحركة العياشية:

رأينا سابقا كحقيقة الاستقرار العياشي بسلا، وقد تم ذلك الاستقرار حوالي 1023هـ/1615م، وابتداء من هذا التاريخ تبدأ مراحل الحركة العياشية إلى وفاة العياشي 1641 ويمكن أن نقسم هذه المدة الطويلة إلى ثلاث (3) مراحل كبيرة وهذا يعتمد على التغيرات لموقف العياشي من الجو العام .

المرحلة الأولى: من (1615هـ/1621م)

ويظهر من خلالها العياشي في الظاهر بعيد عن الأحداث التي تهز مصب أبي رقراق بل يصعب كثيرا توطينه تاريخيا فيها ومرد هذه الصعوبة إلى عاملين احدهما التمييز بين الضفة اليمنى والضفة اليسرى للنهر، نظرا لاستعمال المصادر-سواء منها المغربية أو الأوربية - للفظة سلا لتسمية كل من الضفتين والثاني الاضطرابات الكبيرة في تواريخ الأحداث التي عرفتها المنطقة اضطرابا يزيد من حدته أن أهم مصدر مغربي عن الفترة وهو نزهة الحادي ويروى الأحداث بتتابع يوحي بأن تلك الأحداث متقاربة تاريخيا رغم متباعدة جدا في الواقع، وللخروج من هذه الاضطرابات ينبغي عرض الأحداث والتواريخ أولا بكل ما فيها من اضطراب، ثم فحصها بدقة اللازمة بتوقيت:

-يفهم هذه المصادر المغربية وهى في عمومها تنقل عن النزهة -أن العياشي استقر بسلا بعد سقوط المعمورة في يد الإسبان حوالي 1023هـ/1621م[1].

-يفهم من المصادر المغربية أيضا أن زيدان اصدر أمره إلى قائده على سلا (الرباط) (الزعروري) بالقبض على العياشي الشيء الذي كان سببا مباشرا في سوء العلاقة بين الأندلسيين والزعروري، ومن ورائه زيدان فيطرد الزعروري من المنطقة، نعلم أن هذا الطرد كان قبيل 1034هـ/1625م[2].

[1]- عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص 101

[2]-، المرجع السابق، ص 12.

–ومن الجهة الأخرى نجد أن العياشي – ردا على ما قال به بعض طلبة الوقت من انه لا يحل الجهاد إلا مع الأمير – يلزم الملتفين حوله بالاعتراف كتابة بتقديمة، ثم يحارب بعد مدة من نكث بالعهد بالتاريخ ذي الحجة 1032هـ/أكتوبر 1623م واعتبار أن هذا التاريخ يمكن أن القول تقديم الناس للعياشي كان قبل هذا التاريخ بقليل[1] .

فكيف نجمع بين الرواية القائلة بان سلا بقيت فوضى لا ولي بها وكثر بها وباحوازها النهب والعبث، ومحمد العياشي يرى ويسمع، ولا يتكلم في شيء من ذلك كأنه غير حاضر ابتدأ مما بعد مقتل القائد الذي خلف الزعروري وهو عجيب من قبل زيدان 1036هـ/1627م، وبين نفس الرواية التي يفهم منها أن تقديم الناس للعياشي كان قبل 1032هـ/1623م.

ولعل أيسر السبل للخروج من هذه التناقضات هو الفصل بين تاريخ سلا وتاريخ الرباط ويكون التسلسل المنطقي لأحداث بالكيفية التالية:

أولا: بالنسبة للرباط لا تعرف المنطقة خبر وفود العياشي على سلا ويظل سكان المدينة في تبعية اسمية للسلطان الممثل عندهم من طرف القائد الزعروري، إلى أن يتم طرد الأخير سنة 1625 ليخلفه القائد عجيب مدة إلى سنة 1627، والسبب هذه النفرة بي مراكش والرباط رغبة السلطان زيدان في استعمال المورسكيين نفس الاستعمال الذي كان يستعمله المنصور من قبل كفرق في الجيش، حيث كانت رغبة المورسكيين في نوع من الاستقلال، أما الربط بين طرد الزعروري ثم قتل عجيب والرغبة الأولى في التخلص من العياشي فما هو وليد مخيلات الرواة المغاربة الذين يوردون تقديسهم للعياشي – من الأخبار ما يؤكد أن كل من أساء إلي المجاهد معاقب[2].

ثانيا: بالنسبة إلى سلا: استقر العياشي بسلا غير ملتفت لما يقع خارجها، وقد تضررت سلا في هذه الآونة من الوجود الاسباني في المعمورة، فيعرض سكانها على العياشي له شهرة في هذا الباب تنظيم عملية جهادية بانتصار للسلاويين حيث وصل النبأ

[1]– الافراني ، المصدر السابق ، ص 10.

[2]– عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص 102.

إلى زيدان الذي يوجه الأمر إلى قائد المنطقة بإلقاء القبض على العياشي غير أن سكان سلا يحمون زعيمهم، فيتوقف الزعروري عن الاهتمام بالضفة اليمنى (سلا) متفرغا للمشاكل التي تخلقها له علاقته وبذلك تنقطع الصلة بين الضفتين ابتداء من سنة 1621م وانقطعت بانقطاعها صلة سلا بمراكش، وهنا يمكن القول بان سلا بقيت فوضى لا ولي بها .

وكانت هذه الوضعية غير عادية وعدم توفير سكان المدينة لمسير. حيث وجد السلاويون في العياشي ضالتهم: كرجل يؤمن بضرورة القيام بعمل ما للتخفيف من خطر الأجنبي، رغم ماله من مهارة وشعبية، تلك العوامل تؤهل العياشي للرئاسة، فتتجه إليه الأنظار "فهرع إليه الناس طالبين منه القيام جهده بأمور الجهاد والسعي في مصالح العبد " وبذلك تنتهي المرحلة الأولى من مراحل العياشي السياسية، يظهر فيها المجاهد بعيدا عن الأحداث، رغم ما يقدمه البعض من أن العياشي لم يكن غريبا عن توتر العلاقة بين أهل الرباط والزعروري[1]

المرحلة الثانية:(1622هـ/1632م)

اتجاه اهتمام العياشي خلال هذه المرحلة إلى الناحية العسكرية بالخصوص، أولا بتنظيم مجموعة من العمليات الجهادية كلها ضد المعمورة والعرائش، وثانيا لمحاربة المجموعات البشرية المناوئة له أو التي يشكل تصرفها عرقلة في سبيل تحقيق الجهاد أما على المستوى السياسي فقد ظل العياشي محافظا على العلاقة الطبية مع السلاطين السعديين بمراكش ويتلقى الدعم من باقي القوى السياسية في البلاد، غير أن الجديد في هذه الفترة هو وجود رباطي شرعي بين المغاربة والعياشي، ذلك أن الالتفات حول العياشي بقصد الجهاد كان يشكل انطلاقة حركة على رأسها زعيم، وكان من الضروري أن تتوضح نوعية العلاقة التي

تربط بين الناس والزعيم، لان الجهاد لا يحل إلا مع الأمير أو السلطان[2].

[1]– عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص 103.

[2]– محمد الصغير الافراني، **نزهة الحادي بإخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق هوداس، باريس، 1989 ص 265.

فما هو الأساس الذي انطلقت منه هذه الفكرة؟ قد يكون انطلاقها نتيجة تخوف السعديين من ظهور العياشي كمنافس لهم، وبالتالي نتيجة رغبة منهم في إظهار لا شرعية ما يقوم به من عمل، وقد يكون محاولة جديدة من زيدان –بعد فشل محاولتين سابقين مبنيتين على استعمال القوة – للتخلص من العياشي بكيفية غير مباشرة، من العياشي وأنصاره، وهذا هو الأرجح ذلك أن الشائعة لم تسر في الاتجاه إلي كان يجب أن تسير فيه لو أنها كانت منطقة من أعداء العياشي، بل نجدها تأتي في الوقت المناسب تماما ليطلب العياشي من الذين قدموه الالتزام كتابة بذلك التقديم [1].

فالقضية إذن من أساسها تريد الوصول إلى هذا الموصل: ربط العياشي بالذين قدموه بواسطة رباط شرعي واضح المعالم: فالعياشي مقدم على الناس لغايتين: النظر في المصالح العامة وتنظيم الجهاد، وذلك التقديم آت من رغبة تلقائية من الناس، يلتزمون بها ويتعهدون بالمحافظة على الطاعة ومحاربة من فكر في الخروج عن تلك الطاعة، أما الذين قدموا العياشي، فليسوا سكان سلا فقط بل هم سكان المناطق المجاورة من عرب وبربر، وهذا الاتفاق ليس اتفاقا سريا، بل وافق عليه قضاة الوقت وفقها ومن تامسنا إلي تازة، ومن هنا يلاحظ أن رد العياشي كان اقوي وأعمق بكثير من التهمة الموجهة إليه في الأصل من عدم حلية الجهاد إلا مع الأمير بل يظهر أن هذه الاتفاقية كان معدا ومدروسا ولم يكن وليد الساعة، وتستعمل المؤلفات المغربية كلمة طلية مع نوع من الاستخفاف والاستهانة ردود كثير من الفقهاء وفتاويهم مثل عبد الواحد بن عاشر وإبراهيم الكلالي والعربي الفاسي، حيث توفر للعياشي وسيلة شرعية كافية لتهدئة كل منطقة الغرب، ذلك أن الاضطراب البشري الذي خلقه جدة الاستقرار في المنطقة، والاضطراب الجديد المترتب عن استقرار الإسبان في العرائش والمعمورة، خلقا نوعا من الطفو بالنسبة لبعض القبائل التي لم تكن تجد إلا منفذ واحدا هو هوامش سهل نحو الجنوب، بالنسبة لأولاد سجير نحو الشرق باتجاه فاس [2] .

[1]– محمد الصغير الافراني، المصدر السابق، ص 265.

[2]– نفس المصدر، ص 265.

من خلال هذه التحركات قامت هذه القبائل بوضع حد في إطار العهدة والمتمثلة في رعاية مصالح المسلمين، حيث أول من بدأ به من نشاط مباشرة من قبائل شراقة والحياينة، وأولاد سجير.

وفي نفس الوقت كانت أولاد سجير تشن الغارات على مدينة سلا وتخرج عن الاتفاق المعقود مع المجاهد، فيحاربها العياشي، وينتصر عليها . دون أن ينجح في إيقاف عملياتها فبعد أن غلبهم وظفر بهم 1623، عاد أولاد سجير مرة أخرى إلى التضييق على من حولهم، وسنرجع أيضا مرة أخرى للحديث عن هاته القبائل .

ورغم أن الانتصارات التي حقق العياشي لم تكن حاسمة فإنها كانت كافية لإقرار نوم من الاستقرار وكانت من جهة أخرى إيذانا بتوجه العياشي ومن معه إلى الهدف الأصلي المتمثل في الجهاد.

وفى هذا الوقت كثر الحديث في بريطانيا عن المغرب، وعن الأسرى الانجليز فيه، وفي هذا الصدد رفعت إلى البرلمان الإنجليزي عرائض تطالب بالنظر في قضية الأسرى. ووجدت هذه المطالب الأذن الصاغية من الجهات المسؤولة، حيث عين جون هاريسون[1] ممثلا للملك شارل الأول بالمغرب، وكانت المهمة المنوطة به العمل على عتق الأسرى الانجليز، ويبدأ هاريسون جولته في المغرب من تطوان، ومنها يتجه إلى سلا حيث يعلم العياشي بقدومه وغاياته، فيسهل تنقله ويتصل به ويحسن استقباله، ويوجه معه رسالة إلى شارل الأول مظهرا فيه استعداده لربط علاقات ودية ببريطانيا، وينال العياشي بعض ما يرغب فيه حينما يجيبه ملك بريطانيا برسالة تظهر فرحه بموقف العياشي[2].

[1]– نبيل انجليز اتصل أول مرة بالمغرب عندما وجهته بريطانيا برسالة إلى زيدان، وقد كانت مهمته الأولية هي تحرير الأسرى الانجليز ثم تعدى ذلك إلى الاهتمام بتسهيل ربط علاقات تجارية وغيرها بين مختلف القوى السياسية في مغرب القرن السابع عشر، قام بثمان رحلات مابين 1610 و1632، تحدث عنه الناصري ص– 2: 441.

[2]– أحمد الناصري، المصدر السابق،ص 60.

قرر العياشي إذن تنظيم حملة على حصن المعمورة ...ليتقوى المسلمون بذخائره[1]، فتخرج من سلا فرقة تحاصر الحلق مدة .ورغم حصانة الحصن ينجح العياشي في التضييق على من به، خصوصا وانه اصبح متوفرا على جهاز للمدفعية قوامه 6 مدافع حصل عليها بالشراء من الانجليز .وكان التضييق من الشدة بحيث اجبر قائد الحصن على طلب المدد من الوطن الأم، على أن طول الحصار، بداية نفاذ مؤن العياشي، اجبر المجاهد على التفكير في رفع الحصار، وكادت عمليته هاته تشبه – في نهايتها – عمليات سابقة حيث ..."كان المسلمون قد حاصروه أيضا غير ما مرة وتعدد ذلك منهم فلم يقدروا على شيء "[2]. وفي آخر لحظة أجبرت صعوبة البحر بعض السفن –التي ربما كانت من السفن المنجدة للحصن– على اللجوء إلى ساحل الرمل، لكنها تنشب في الرمال، فيستولي عليها العياشي وبها 800 أسير ومدافع وذخيرة، ويظهر أن بعض الأسرى نجح في الإفلات، في حين نجح العياشي في تحرير 300 أسير من المسلمين كانوا في قبضة الإسبان ، وبذلك يتحول الحصار الذي كاد أن يفشل، إلى انتصار استفاد منه بالحصول على عدد مهم من الأسرى بالإضافة إلى السلاح والذخيرة، غير أن انتفاع العياشي من الغنيمة قل عندما استحوذ الأندلسيون المشاركون في العملية على بعض المدافع .

فقد انفرد صاحب "الخبر في ظهور العياشي " بذكر هته العملية التي يسميها غزوة الغربية، وقد وقعت هذه العملية في وسط إقليم الغرب –على اعتبار أن الغربية المذكورة هي المنطقة التي تحمل نفس الاسم اليوم– هي منطقة بعيدة عن اقرب مركز اسباني بأكثر من 50 كلم، الشيء الذي يدفع إلى التساؤل عن السبب الذي دفع قوات اسبانية إلى التوغل داخل إقليم الغرب إلى المسافة المذكورة ، ثم يظهر الغموض على مستوى آخر عندما يذكر أبو إملاق أن المعركة خلفت 3000 من القتلى، وهذا ما يدعو إلى الشك في هذا الرقم بل الجزم بمغالاته إذ لم تكن

[1]– الفشتالي، المصدر السابق، ص 24.

[2]– نفسه ص 24.

المعمورة أو العرائش تتوفر على مثل هذا العدد من السكان ، وقد وقعت هذه المعركة حسب أبو إملاق سنة 1627، وفي نهاية هاته السنة يتوقف عمل العياشي الجهادي لانشغاله بمشاكل من نوع جديد ، تتمثل في توتر العلاقات بينه وبين سكان الرباط ثم دخوله في حرب ضدهم تستمر إلى 1630.

فقد نظم العياشي حملة ضد برتغال طنجة، في المنطقة المعروفة باسم جبل الحبيب ، ونقل صاحب الخبر هذه العملية عن النشر[1]، ذاكرا أنها وقعت بتاريخ ابريل 1629، كما ذكر أنها خلفت 588 قتيلا في صف البرتغال، ويسميها غزوة عياشة الأولى ، ولا اثر لذلك وهذه العملية في غير النشر عن المؤلفات المغربية.

يقضي العياشي بعد ذلك فترة متنقلا بين سبتة وطنجة [2]، منشغلا بمعارك ضد البرتغال حيث يتعرض لشبه هزيمة ذلك أن برتغال طنجة نظموا عدة عمليات انطلاقا من يناير 1630 ، وتنجح هاته العمليات في الحصول على غنائم باردة قوامها مرة 300 رأس من المواشي وبعض الأسرى المغاربة، ومرة أخرى فارسين و3 خيول، فالمصدر البرتغالي يؤكد أن عددا كبيرا من المغاربة قد قتل نتيجة المهارات العسكرية والشجاعة الكبيرة التي أبداها البرتغال ، كما يؤكد أن عددا من البرتغاليين تحصل أسيرا في يد العياشي ، ويظهر أيضا وجود عدد من القتلى في الصف البرتغالي .

وبعد المعركة استمر الاتصال بين الطرفين لتصفية مخلفاتها ، فالعياشي بعث الى قائد الحامية بطنجة خطابا بتاريخ 11 يناير 1630 يأذن له فيه في الخروج من طنجة لجمع قتلى قواته . ويجيب قائد الحامية برسالة يطغى على

[1]– محمد الطيب القادري، المصدر السابق، ص153.

[2]– نفس المصدر ، ص 39 .

أسلوبها الصلف والغرور .يذكر فيها العياشي بأنه – أي القائد – هو المالك الفعلي لبادية طنجة وان باستطاعته ان يخرج اليها كلما شاء ودون اذن من احد[1].

بعد سنة كاملة من هذه الاحداث، ينظم العياشي عملية جديدة ضد العرائش وتعطي هذه العملية الشكل النموذجي لعمليات الجهاد، وتتحقق فيها كثير من وجوه التكتيك العسكري المغربي . فبعد الاستنفار للجهاد تتجمع العناصر المجاهدة من مختلف القبائل في غابة قريبا من العرائش، وكتمن هنالك حوالي الأسبوع انتظارا لفرصة تنتهز في العدو .وتسمح الفرصة فعلا عندما يخرج من العرائش بعض سكانها الإسبان، فيحيط بهم المغتربة من كل جانب " .. فلم يفلت منهم احد في ساعة واحدة طحنوهم طحن الحصيد " . وقد وضح العياشي نفسه بعض تفاصيل العملية في رسالة بعث بها الى الوليد بن زيدان بتاريخ 17 ابريل 1631 . يقول فيها " وقد كيف الله سبحانه في غرة رجب (1040) غزوة أسفر فيها وجه الإسلام مشرق الجبين .. خرج من ثغرة العرائش ما يزيد على 500 كافر فلم يفلت منهم احد " [2] .

وبهذه الإشارة من العياشي لا يبقى أي شك في وقوع العملية ولا في تاريخها، خصوصا وان إشارة أخرى تؤكد وقوعها بتاريخ فبراير 1631. ويظهر أن العملية تمت حوالي ماي 1631 . وانه بينها علاقة وبين العملية المشار إليها قبل والتي تمت بتاريخ يناير 1630، حيث أن العياشي يؤكد في رسالته إلى الوليد [3] قراره بالاستقرار بين سبتة وطنجة، وطال به الاستقرار فعلا مدة إلى 1631 حيث لبى دعوة أهل فاس للمشاركة في عملية ضد العرائش، وتشهد هذه السنة نشاطا كبيرا في عمليات الجهاد . حيث أضيفت إلى عملية العرائش (فبراير 1631) والعمليات

[1]– عبد الكريم كريم، المرجع السابق – ص 279.

[2]– نفسه – ص 41.

[3]– نفسه، ص 39.

التي انتهت بانهزام العياشي (ماي 1631) عملية ضد النصارى في العرائش مرة أخرى (ابريل 1631)، وأخرى ضد المعمورة (يونيه 1631) .

كما انتبه إلى إمكانية الخلط بين العمليتين محمد بن الطيب القادري في التقاط الدرر حيث قال: فان كانت هاته هي المتقدمة فإنها أثبت لأنها التي عند صاحب المطمح في بعض تقاييده، وهو ثبت ..[1].

على أن إملاق والقادري لم ينتبها إلى إمكانية كون هاته العملية هي نفس العملية التي تمت ضد العرائش والتي سبقت الإشارة إليها . فقد ذكر المفيد وأبو إملاق أن هذه العملية وقعت بعياشة قرب جبل الحبيب بتاريخ 5 رجب 1040 / 7 فبراير 1631، بينما يذكر العياشي في رسالته إلى الوليد، وهي مؤرخة ب 15 رمضان 1040 ما يلي: وقد أشار الكتاب الأسمى ... إلى تعرف حال هذا الثغر (العرائش) ... وقد كيف الله سبحانه وتعالى في غرة رجب (أوائل فبراير 1631) غزوة أسفر فيها وجه الإسلام مشرق الجبين ...[2]

ومن خلال هذا التطابق في التاريخ يظهر أن غزوة عياشة التي ذكر أبو إملاق هي نفس غزوة العرائش، ويؤكد هاريسون أن العياشي اصطدم بنصارى العرائش في تاريخ فبراير 1631.

وبعد ذلك بقليل غادر جماعة من أهل فاس مدينتهم بقصد الجهاد بتاريخ مارس 1631 وبعد اجتماعهم بجماعة أخرى من المجاهدين، استقر رأي الجميع على الاستعانة بالعياشي، فكتبوا إليه يستدعونه إلى مكان التقائهم بازغار، والعياشي يومئذ بحوز طنجة لتنظيم عملية ضد المعمورة[3]، غير أن العياشي يماطل في

[1]– محمد الطيب القادري، المصدر السابق، 17.

[2]–المرجع السابق، ص 41.

[3]– الافراني، المصدر السابق، 39 .

الجواب لأنه كان قد استجمع النية على الإقامة بالفحص الطنجوي، ولم يتوجه إلى لقائهم إلا "بعد شقة وناي حي " [1].

ولم يتم الاتصال المنتظر إلا بعد حوالي شهر ويرافق العياشي في انتقاله من الفحص إلى ازغار حناش[2] . ويقرر العياشي استغلال هذا الجاسوس بان أوحى إليه بحمل معلومات غير صحيحة إلى سكان العرائش من الإسبان . وهذا ما تم بالفعل " فقد ذهب الحناش إليهم، وكان موثوقا به عندهم .. فقال لهم: إن إحياء العرب وحللها قد نزلت بوادي العرائش، فلو أغرتهم عليهم على غفلة لغنمتموهم "[3] وتنجح العملية عندما يخرج أسبان العرائش مبادرين مكثرين .

وبعد هذه العملية يعود العياشي إلى الشمال حيث يظهر انه ترك هناك مشاكل معلقة تنتظر حلا . لكن المجاهدين من أهل فاس قرروا استغلال وجودهم لتنظيم غزوة جديدة، وبعد أن اتجه بعضهم إلى فاس ووصل بذلك خبر الغزوة إلى إسماع كثير من المغاربة، راسل بعض عظماء الوقت العياشي، تهنئة له بالانتصار ، فقد توصل العياشي برسالة من أعيان فاس وفقهائها والقاضي بالإضافة إلى الشرفاء والعلماء[4].

كما وصلت إلى العياشي في الموضوع قصيدة مدح من نظم محمد بن أحمد المكلاتي منها في المطلع:

ثغر العرائش ضاحك مستبشر جذلان عن هذي الوقائع مخبر

غاب الرماح تشابكت أغصانها روض المنايا بالجماجم مثمر[5]

---

[1]– الافراني، المصدر السابق، ص 39 .

[2]– الحناش حسب الناصري في الاستقصا " الجاسوس الذي يبيع أولاد المسلمين للنصارى "

[3]– محمد الصغير الافراني، المصدر السابق، ص 266.

[4]– وردت الرسالة في الخبر ص 29 موقعة باسم المكلاني، ووردت في كناشة رقم ك 938 بتوقيع مجموعة من رجالات فاس .

[5]– الفشتالي، المرجع السابق، ص 31 وما بعدها .

كما توصل العياشي في نفس الموضوع برسالة من الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي . أما الذين لم يرجعوا إلى فاس، فقد اصطدموا صدفة، ببعض إسبان المعمورة الذين خرجوا من حصنهم بحثا عن الحطب، فكانت معركة قصيرة على بعد ميلين من المعمورة.

ولم يكتف المجاهدون بهذا النصر بل أرادوا استغلاله، فلاحقوا المنهزمين الى حصن المعمورة ، وينضم إليهم العياشي بعد عودته من الشمال .. ولما رجع وأعلم بضعف من بقي في الحلق " حتى أنه لم يبت في الحلق تلك الليلة الا نحو 40 رجلا " [1] وقد وصلت أنباء هذه المعركة أيضا محمد بن أبي بكر الدلائي الذي يكاتب العياشي، فيجيبه: وقد سمعتم – رضي الله عنكم – خبر هذه الغزوة التي كيفها الله على المعمورة ... وقد قوى الامل في الله ... ان تكون تلك الغزوة مفتاحا لفتحها، فالمسلمون نازلون الان بعقر دارها، ومرسلون الصواعق على أسوارها [2]

ولهذه المعركة أهمية سياسية كبيرة، فهي تشكل أوج الحركة الجهادية للعياشي، فبهذا اتحدث همم المغاربة واجتمعوا حول العياشي ، غير ان ذلك الاجتماع لم يكن كافيا، وهذا ما يؤكده العياشي عندما يقول في رسالته لمحمد بن أبي بكر " والمسلمون نازلون الان بعقر دارها ... حتى يأذن الله ...ببوارها ... وعودها الى ملك الاسلام، هذا الذي انعقدت عليه النية ... لكن يا سيدي .. أين المساعد والامر لا ينهض به الواحد " [3] وبنهاية عملية الحلق الكبرى في ماي 1631، تنتهي الفترة الثانية من فترات الحركة العياشية . وأهم ما يميز هاته الفترة هو دوران كل الاحداث فيها حول محور واحد هو الجهاد، والاتصالات تجري لتسهيل الحصول على السلاح كوسيلة للجهاد، والمراسلات تدور حول موضوع

[1]– الفشتالي، المرجع السابق، ص 40.

[2]– المرجع نفسه، ص 34.

[3]– السلاوي، المرجع السابق، ص 35 .

الجهاد والمشاكل التي يصادفها العياشي عند القيام به . والحركة على العموم تلقى الدعم الواضح من القوى المعبرة عن القاعدة الشعبية والمتمثلة في رجال الدين .

ويرتكز مفهوم الدعم الذي نقصد في 5 رسائل تبودلت بين بعض شخصيات الوقت، حول العياشي أو بين تلك الشخصيات وبين العياشي، وتشكل هاته الرسائل حلقات تطور، تبدأ بالحديث – مع التعميم– عن حالة البلاد، لتصل في الأخير إلى التركيز على أهمية العياشي ، أول هذه الرسائل رسالة محمد العربي الفاسي إلى محمد بن أبي بكر الدلائي ، وتدور الرسالة حول أربعة أفكار: أولاها الحديث عن ضعف المسلمين نتيجة اختلافهم وافتراق كلمتهم في الوقت الذي يظهر فيه النصارى بموقف القوة، والثانية توقف المغاربة عن أي رد فعل إمام خطر الوجود الأجنبي، والثالثة سكوت الناس عن الحديث في هذا الموضوع مع ما فيه من خطورة، والرابعة أن غاية الكتاب هي تنبيه الشيخ إلى خطورة ما يقع[1].

أما الرسالة الثانية فهي رد فعل الشيخ محمد الدلائي، وهي رسالة موجهة في الظاهر إلى العياشي، ولكنها تخاطب القبائل التي تتبع العياشي فيما سار إليه من جهاد، حيث يخاطب الدلائي في تلك القبائل شعورها الديني، مؤكدا على أهمية الجهاد، ثم يتخلص إلى الحديث عن العياشي وعن أهمية الدور الذي يقوم به مستغربا عدم قيام تلك القبائل بحق الطاعة للعياشي رغم أن العادة جرت بتقديم من ظهرت شجاعته ووجاهة رأيه وكثرة جوده وتدينه، وهي صفات اجتمعت كلها في العياشي.

1- الأفراني محمد صغير، مصدر سابق، ص38

المرحلة الثالثة (1641/1631)

تنطلق أحداثها من قضيتين: ملاحظة العياشي عدم كفاية إمكانياته البشرية التي يقلل منها افتراق كلمة المغاربة وتشتتهم فرقا وشيعا ، وثانيا وصول الوليد بن زيدان إلى الحكم بعد مقتل أخيه عبد الملك في سنة 1631 . كشخصية لها اعتبار خاص في باب العلاقة مع العياشي . ذلك أن الوليد بن زيدان كان قد ثار هو وأخوه أحمد ضد أخيهما الثالث عبد الملك عقب وفاة زيدان وينهزم الوليد أمام أخيه، ويلجأ إلى سلا حيث يحسن العياشي استقباله ويقيم عنده مدة سنة 1627 . ويظهر أن الصحبة التي جمعت بين الرجلين، ومكانة العياشي في منطقة سلا، جعلت للعياشي بعض الدالة على الوليد أو اقل جعلت العياشي ينجح في إقناع الوليد بضرورة الجهاد ، وبمجرد استقرار الوليد في عرشه بمراكش يوجه إلى العياشي رسالة في بداية عام 1631 يخبره فيها بوصوله إلى السلطة، فيستغل العياشي فرصة أجابته على هاته الرسالة ليعظ صاحبه، ويظهر له المنهاج الذي يجب أن يسير عليه في حياته الخاصة وفي معاملاته مع الناس وفي اختيار بطانته، ويختم رسالته بالتأكيد على ضرورة القيام بالجهاد[1] .

وواضح أن هذه الرسالة معاصرة لموقعة المعمورة التي يؤكد العياشي عقبها ... " أين المساعد والأمر لا ينهض به الواحد، المسلمون لا يتفق لهم رأي، ولا يثبت لهم حفظ لحمى الإسلام ... حتى أن افتراق كلمتهم اضر على الإسلام من اجتماع عدوه. أي أن عرض الوليد بالاهتمام بالجهاد أتى في الوقت الذي كان العياشي يبحث فيه عن كيفية لإعطاء دفعة جديدة للجهاد،. وكان من المنتظر إذن أن يخاطب العياشي السلطان السعدي ليظهر له الكيفية التي يراها هو مثالية للوصول إلى الهدف، وتعتبر هاته الرسالة على جانب كبير من الأهمية: فهي أولا

[1]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 35-36

توضح للوليد الكيفية التي يجب أن يسير عليها ليضمن طاعة الرعية، ويفهم من ذلك أن العياشي يؤهل الوليد لاحتلال منصب سلطان على كل

البلاد . وتستمر الرسالة متبعة خيطا واضح المعالم . فهي تبدأ بتوجيه نظر الوليد إلى الاعتناء بتقوى الله، وإذا كانت التقوى المطلوب الذي يطلب به من المكلفين على الوجوب كل إنسان، فمن ولاه الله أمر بلاده واسترعاه سبحانه على عباده، يعمه في ذلك في حق نفسه ما عم غيره، ويزيد بتكليف النظر فيما ولي أمره ثم ينتقل من التجريد غالى التذكير بضرورة العدل ... فهنالك المسلمون في ظل أمنه يستريحون، ومن كنف عدله لا يبرحون ... ثم ينتقل إلى وجوب الاهتمام بدين الناس، ...فليبلغ غاية مجهوده في حملهم على القيام بحقوق الله، ومنها الجهاد وهو ... مما اشتهر وجوبه اشتهار النهار .. وهو فرض كفاية أن لم ينزل الكفرة دار الإسلام أما وقد نزلوا الثغور .. فلا يمتري في تعيين فرضه .. والخطاب بذلك يعم الأمة ويخص بالتعيين الأئمة ..[1]

والظاهرة أن الوليد بن زيدان لم يحترم قط توجيهات العياشي، وبذلك بقيت قضية قلة إمكانيات الجهاد موضوعة، بل تضايق من الوليد، فكان من الضروري أن تنطلق عمليات جديدة، اهتمامها موجه إلى الوضع السياسي قبل الجهاد .

وأول انطلاقة لهاته العمليات كانت في فاس، ففي بداية 1631م، قرر أهل فاس خلع بيعة الملوك السعديين وكاتبوا في ذلك العياشي، لإخباره بما تم، ولعرض التبعية عليه، فيقبل العياشي العرض، ويستشهد على صحة ما قام به أهل فاس بمكانة المدينة في المغرب كمركز للعلماء العارفين بالشريعة. ويظهر أن هذه البيعة كانت على شروط قبلها العياشي ورغم أننا لانتوفر على لائحة تلك الشروط فهي عموما تدور حول القيام بالواجبات الدينية التي يفرضها الوضع[2].

[1]- ابراهيم حركات، المرجع السابق، ص 36.

[2]- عبد القادر املاق، المرجع السابق، ص36.

وتشكل هاته النقطة بالطبع مشكلة يجب أن تعرض على المغاربة لإعطاء رأيهم فيها، مع ملاحظة أن المنطلق لم يكن ينتظر إلا القبول. وفي هذا الصدد يوجه العياشي رسالة إلى مكناس بتاريخ 15 جمادى الأولى 1041هـ، يبلغ سكانها في قراره بعقد اجتماع عام يتبين فيه من سار سيرته أهل فاس عمن سار عكسها، وكانت طريقة الاستفتاء من البساطة على قدر كبير: فمن حظر الاجتماع كان معنى حضوره الموافقة ومن امتنع عن الحضور كان كمن لم يعد له في جماعة المسلمين مشاركة، وقد حظر سكان مكناس الاجتماع، واثبتوا بذلك انضواءهم في ذلك الائتلاف، واختاروا منهم شريفين يسيران أمورهم باسم العياشي ويحاربون المنحازين عن الائتلاف يجبروهم بالقوة عن الدخول فيه، وفي نفس الوقت يرد على العياشي وفد من القبائل تعرض عليه التبعية، الشيء الذي اشغل العياشي على تلبية استغاثة أهل فاس به للقضاء على بعض من رفض الدخول في الائتلاف من بعض القبائل المجاورة لفاس، وينظم العياشي في نفس الوقت عملية انقلاب ضد عبد الله النقسيس الذي رفض– فيما يظهر التبعية للعياشي. وينجح الانقلاب حيث يستقر في حكم تطوان – باسم العياشي– المقدم أحمد بو علي والمقدم سليمان بن يوسف.

ويصف العياشي العملية بأنها تحكم "أيدي أنصار الدين في البغاة المفسدين" غير أن تبعية تطوان للعياشي لم تكن دون مشاكل: إذأن المدينة كانت تعرف تيارين سياسيين متعارضين أحدهما لصالح العياشي، والآخر ضده. وإذا كانت عملية 1041 قد انتهت بانتصار أنصار المجاهد، فان ذلك الانتصار لم يكن نهائيا، وظلت بعض الفئات من المسكر المعادي تنتقم كلما استطاعت من أنصار المجاهد مثلما وقع في قضية تمت بين أحد الشرفاء والقاضي وهو محمد بن احمد طانية، أو مثلما وقع من إهمال أهل تطوان لأنصار العياشي المرابطين قرب المدينة.[1]

وبعد الاطمئنان على تبعية المراكز الرئيسية في شمال وغرب البلاد، يوجه العياشي اهتمامه إلى أقصى الجنوب، ربما للبحث عن حليف قوي في شخص أبي حسون السملالي

[1]-مؤلف مجهول، المصدر السابق ص256.

ضد السعديين. وفي هذا الصدد يوجه العياشي رسائل إلى سيدي علي بواسطة الانجليزي هاريسون بتاريخ 1631.

ويظهر من خلال تقرير هاريسون أن المراسلات كانت تدور حول موضوع توحيد البلاد ومحاربة الأسبان. ويظهر كذلك أن هاريسون فد قام بمهمته وأوصل الرسائل إلى أبي حسون رغم الصعوبة التي يمكن أن يكون قد تعرض لها للاتصال به في أغادير، ذلك أن أغادير لم تكن خاضعة في هذا الإبان للسملاني[1]، إذ نعثر على إشارة من مصدر آخر تثبت وجود تحالف بين العياشي وأبي حسون.

أما إزاء القوى السياسية المتمركزة في وسط البلاد- أي أهل الدلاء- فالظاهر أن رئيس الزاوية في هذه الفترة- محمد بن أبي بكر الدلائي- لم يتخذ موقفا معينا من التصرفات العياشية الجديدة، وان كان من الممكن القول بان محمد بن أبي بكر لم يكن راضيا عن تصرفات المجاهد. وهذا ما يشتم من انقطاع الاتصال بين الرجلين مابين 1631و1637. بل يمكن تأكيد عدم الرضا هذا من خلال قول محمد بن أبي بكر عندما وصلته هدية من العياشي: ما هذه هدية الفقير للفقير. وباستمرار الأوضاع على هاته الصفة، انقسم المغرب الواقع شمالي الأطلس الكبير إلى ثلاث مناطق نفوذ: الدلائيون في الوسط، والسعديون بمراكش واسميا إلى جنوب أم الربيع، والعياشي في الغرب والشمال الغربي وتامسنا. ويظهر أن كل طرف من الأطراف المتقاسمة حكم البلاد، اهتم بالنظر في مشاكلها الداخلية، مع رغبة كل طرف من تلك الأطراف في المحافظة على توازن القوى. فنجد محمد الحاج- الذي ترأس الزاوية بعد وفاة والده 1636- يقدم المساعدة للعياشي في عدة مناسبات، بعضها للقضاء على عصيان شراقة والحياينة 1638. وبعضها الآخر لمنع وصول القوات السعدية إلى نواحي أبي رقراق، حيث وجه محمد الشيخ قواته للقضاء على النزاع القائم بين العياشي وسكان الرباط (يونيه 1637) إلا أن تحالف العياشي ومحمد الحاج عاق تقدم القوات

[1]- احمد الناصري، المصدر السابق، ص، 150.

السعدية التي لم تتجاوز فضالة بعد أن بدد الحليفان المزروعات وقطعا بذلك المؤن عن الجيش السعدي. وبذلك تفرغ العياشي لتنظيم المنطقة التابعة له، كمرحلة أولى تمكنه من التوفر على القوة اللازمة في توحيد البلاد[1].

نتائج الحركة العياشية:

1- رأينا أن هذه الحركة لم تكن في شيء حركة فردية قامت بقيام زعيم وانتهت بنهاية وإنما كانت رد فعل وطني إزاء وضعية احتلال أجنبي.

2- بدأت العمليات العسكرية التي نضمها العياشي ببساطة ثم بدأت تتزايد إلى أن بلغ عددها أوجه سنة 1631 حينما قاد العياشي أربع (4) عمليات ضد المعمورة والعرائش.

3- حققت الحركة هدفها المحدد في تحرير الثغور المحتلة.

4- نجاح الحركة العياشية في مرحلة الأولى في التضييق على المستعمر وأجبرته على التقوقع في داخل حصوته كما أرغمت المستعمر في المرحلة الثانية على إعادة النظر في وجوده نفسه بما تسببت له من خسارة في القتل والخسائر.

5- الدليل الواضح على نجاح الحركة العياشية في تحقيق هدفها أواخر القرن السابع عشر في المعمورة والعرائش.

6- قامت الحركة العياشية في وقتها بإمكانياتها وفي إطارها الجغرافي المنوطة بها من واجب الدفاع والتحرير.

7- لم تمس الحركة التكوين الطبقي والمغربي في عمقه ولم تكن تعبيرا عن صراع طبقي فإنها كانت مواجهة بين طبقات المجتمع من جهة ضد الخطر الخارجي من جهة أخرى . بشكل يقتضي التكتل بين مختلف العناصر.

ساهمت الكثير من الأطراف الخارجية في تأجيج الصراع بين أبناء أحمد المنصور كما يبق، سيما أن الإسبان والبرتغال، كما يمكننا أن نعتبرهما المتسبب في قيام الكثير من

[1]- عبد القادر املاق، المرجع السابق، ص 70.

العصبيات المشاركة في الأزمة السياسية مثل الحركات الجهادية على رأسها أبو عبد العياشي.[1]

[1]– مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص103

الخاتمة

الخاتمة:

حاولت من مضمون الخطة المنهجية أن أجيب على تساؤلات الإشكالية المطروحة:

-تعبر سنة 1012هـ/1603م وهي سنة وفاة أحمد المنصور الذهبي، بداية تدهور أوضاع المغرب الأقصى الداخلية، فبدءا بالطاعون الذي أصاب مراكش وراح ضحيته العديد من العامة والأعيان والفقهاء وحتى رجال الدولة ومنهم أحمد المنصور الذهبي وهو ماخلق فراغا سياسيا، خاصة بعد أن حصلت البيعة لأكثر من سلطان، وهو ما أدى إلى تعدد العصبيات في البلاد، فمن هنا تعتبر هذه السنة نقطة بداية تدهور أوضاع الأسرة السعدية.

-وفي الوقت الذي كان المغرب فيه يعاني من تشتت العصبيات، وتدهور الأوضاع السياسية والتي كانت أسبابها داخلية، أزمة المنصور، وكذا خارجية، التدخل الأوروبي في الشؤون الداخلية واحتلال بعض المدن.

في أخير هذا البحث:

-بعدما تمكن المغرب تحت قيادة السعديين من إعادة وحدة ترابه وتحرير جل ثغوره وإيقاف الأطماع الأجنبية التي كانت تهدد كيانه.

ودخول عهد جديد من الاستقرار السياسي والازدهار خلال عهد أحمد المنصور الذهبي، الذي اعتمد على سياسته الداخلية والخارجية على تعزيز مكانة المغرب على الصعيد الدولي وتوسيع حدوده حيث بعد وفاته جاءت فترة التدهور والصراعات بين أبناءه وفترة التفكك والتدهور للمغرب بسبب ظهور حركات انفصالية في عدد من المناطق وتعميق الأزمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، التي أصبحت تعيشها البلاد ومن ثم أصح التطلع إلى قيادة سياسية جديدة قادرة على توحيد البلاد وإعادة الأمن والاستقرار.

قائمة الملاحق

الملحق رقم (01) بقايا مسجد أبي بكر بالزاوية الدلائية القديمة

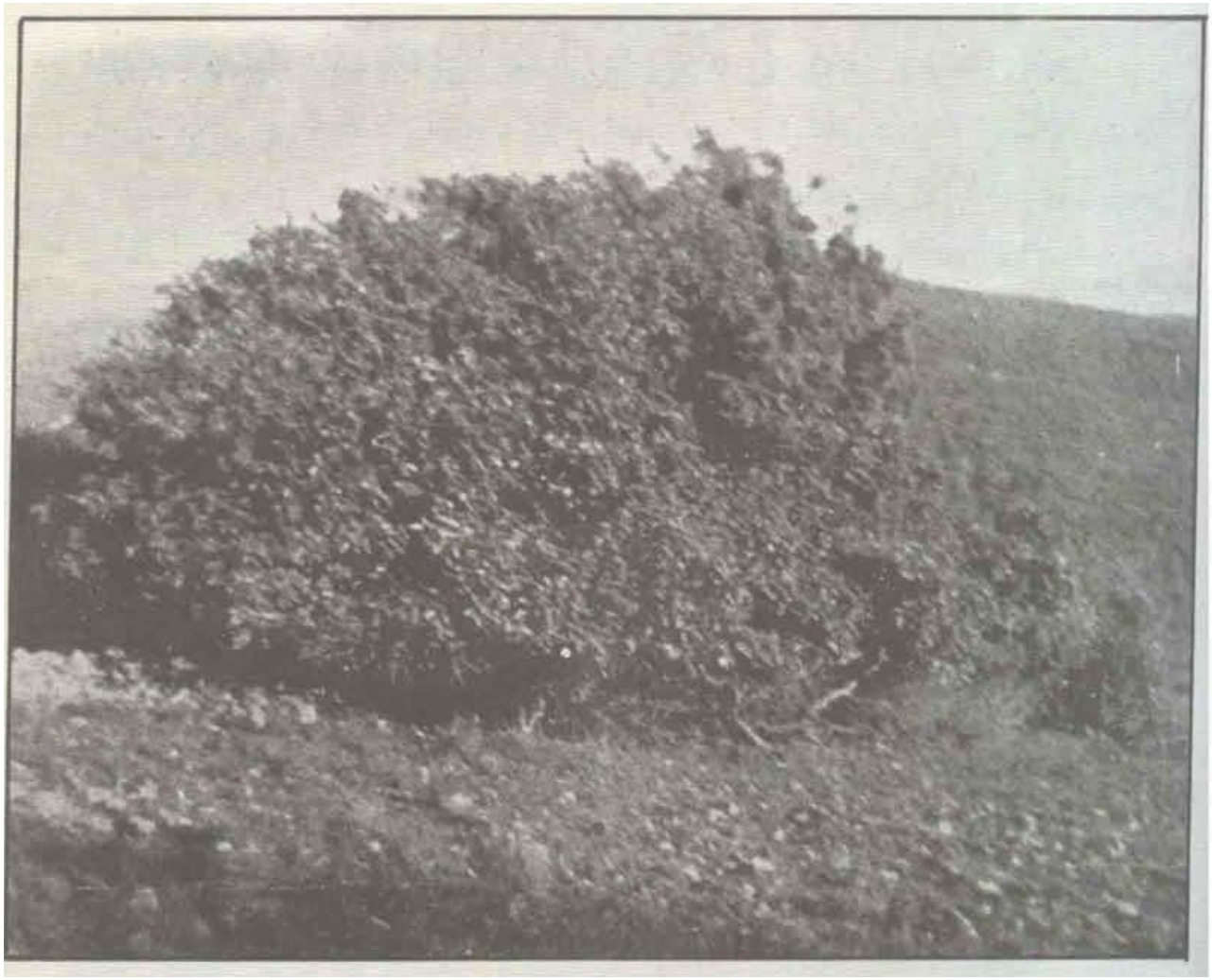

الملحق رقم (02) : المناطق التي شملها نفوذ الدلائيين

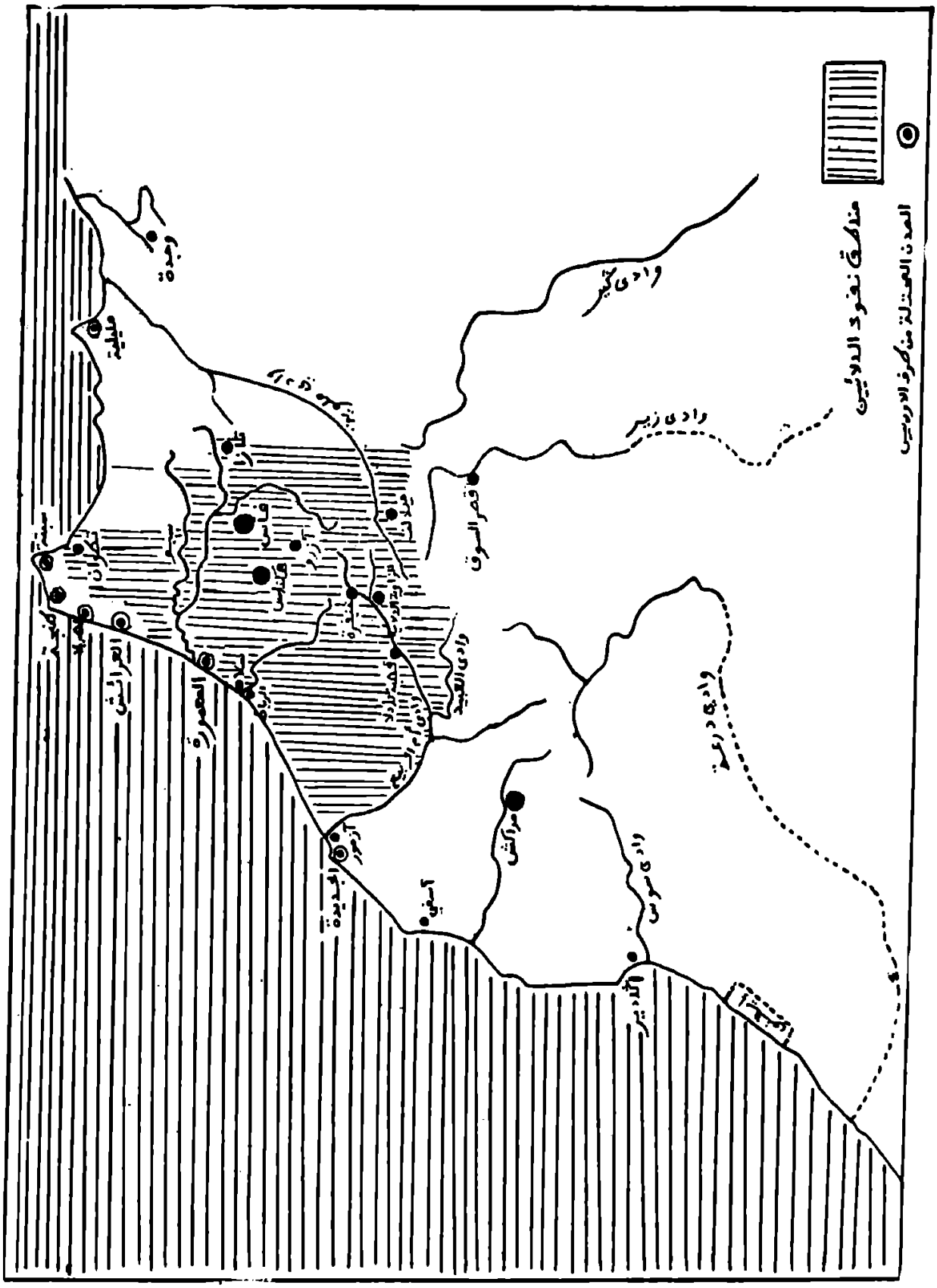

المناطق التي شملها نفوذ الدلائيين بالمغرب خلال أواسط القرن 11هـ / 17م

من تصميم المؤلف

الملحق رقم (03) : بقايا اسوار داخلية تحيط بقصر السلطان محمد الحاج

اللوحة رقم 8

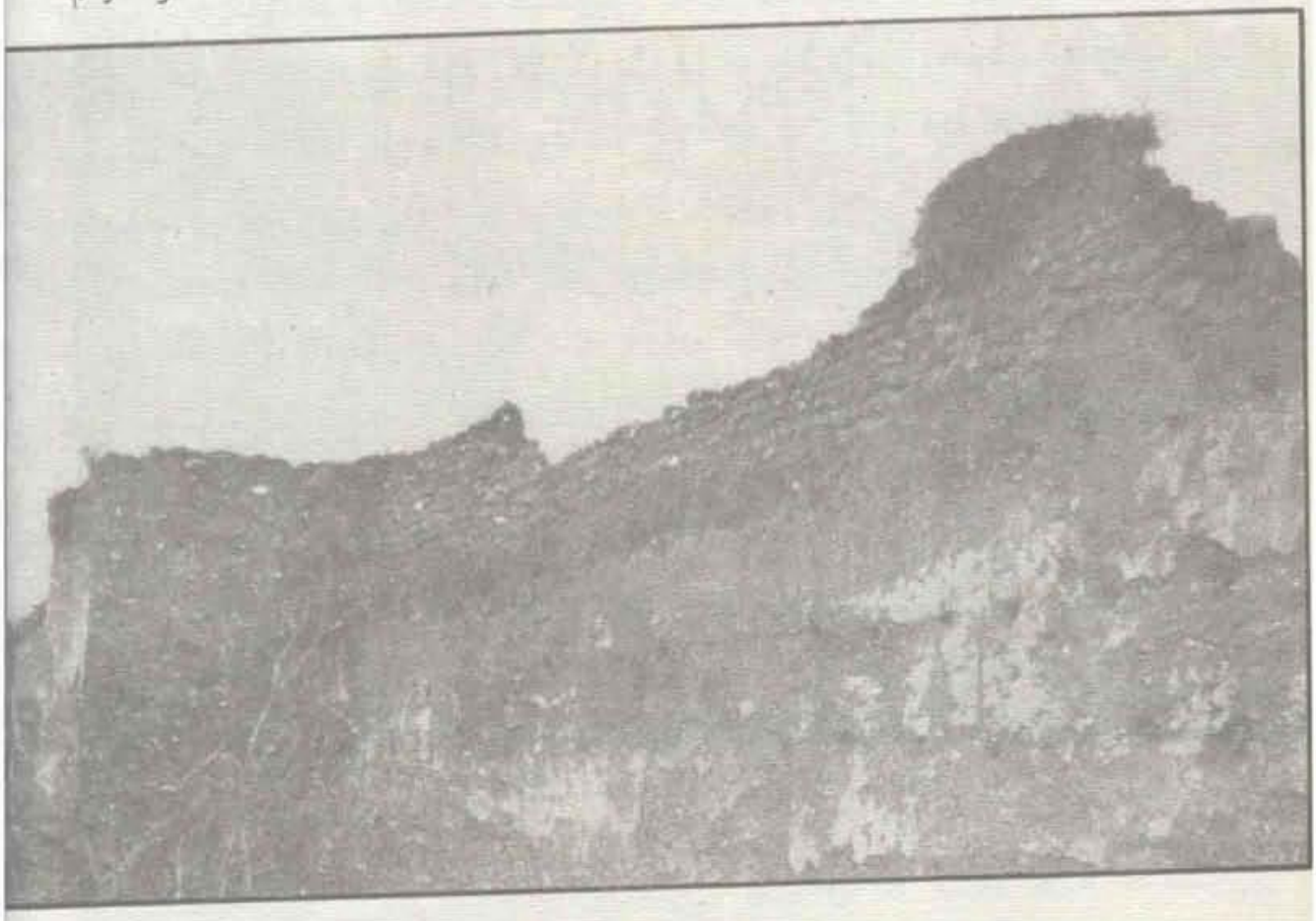

بقايا اسوار داخلية يظن أنها كانت تحيط بقصر السلطان محمد الحاج
في الزاوية الدلائية الحديثة (زاوية أيت إسحاق)

تصوير المؤلف

الملحق رقم (04) :مكتب قائد زاوية ايت اسحاق في المسجد الاعظم

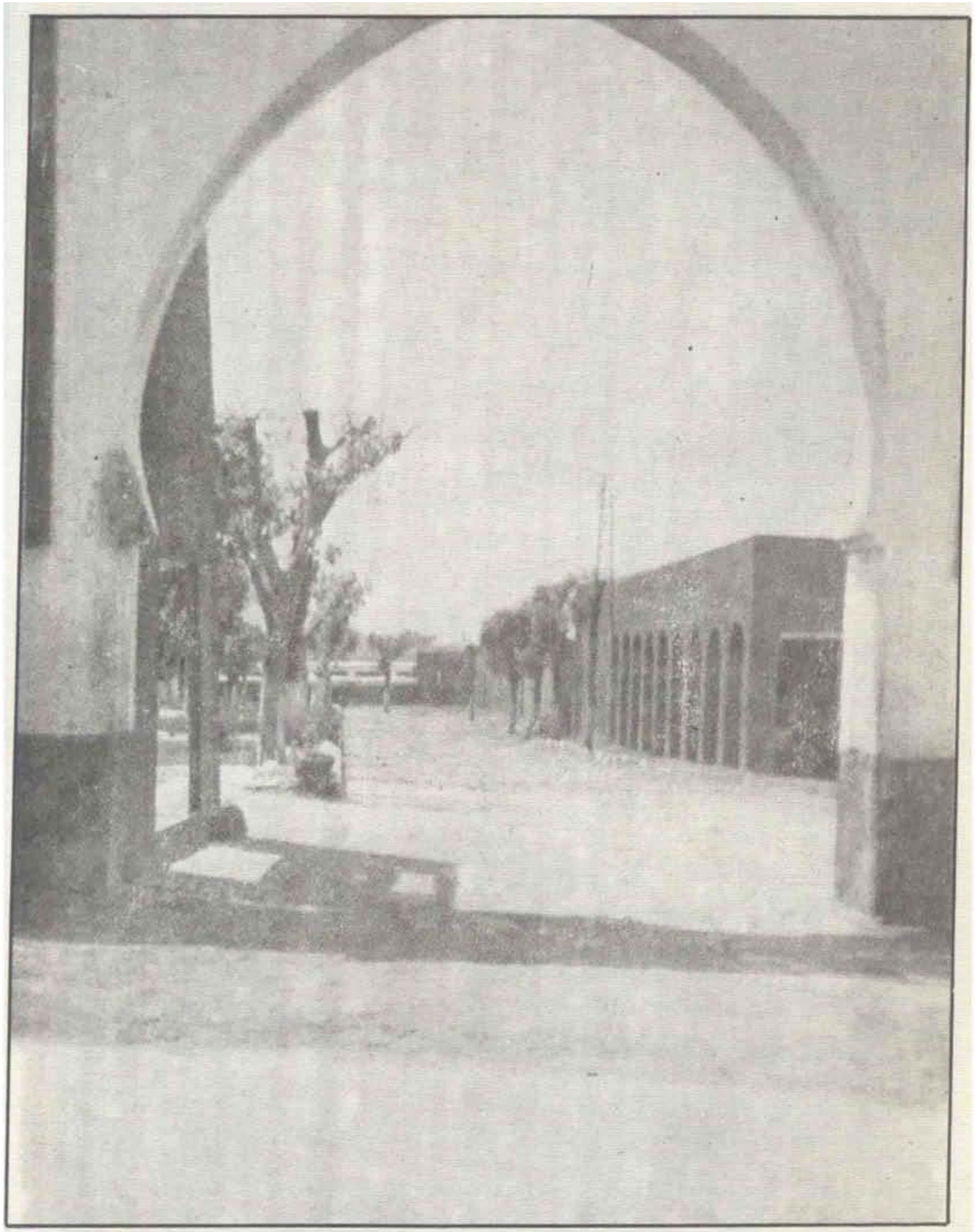

مكتب قائد زاوية أيت إسحاق في موقع المسجد الأعظم

الملحق رقم (05) : اول صفحة من احد كتب خزانة الزاوية الدلائية

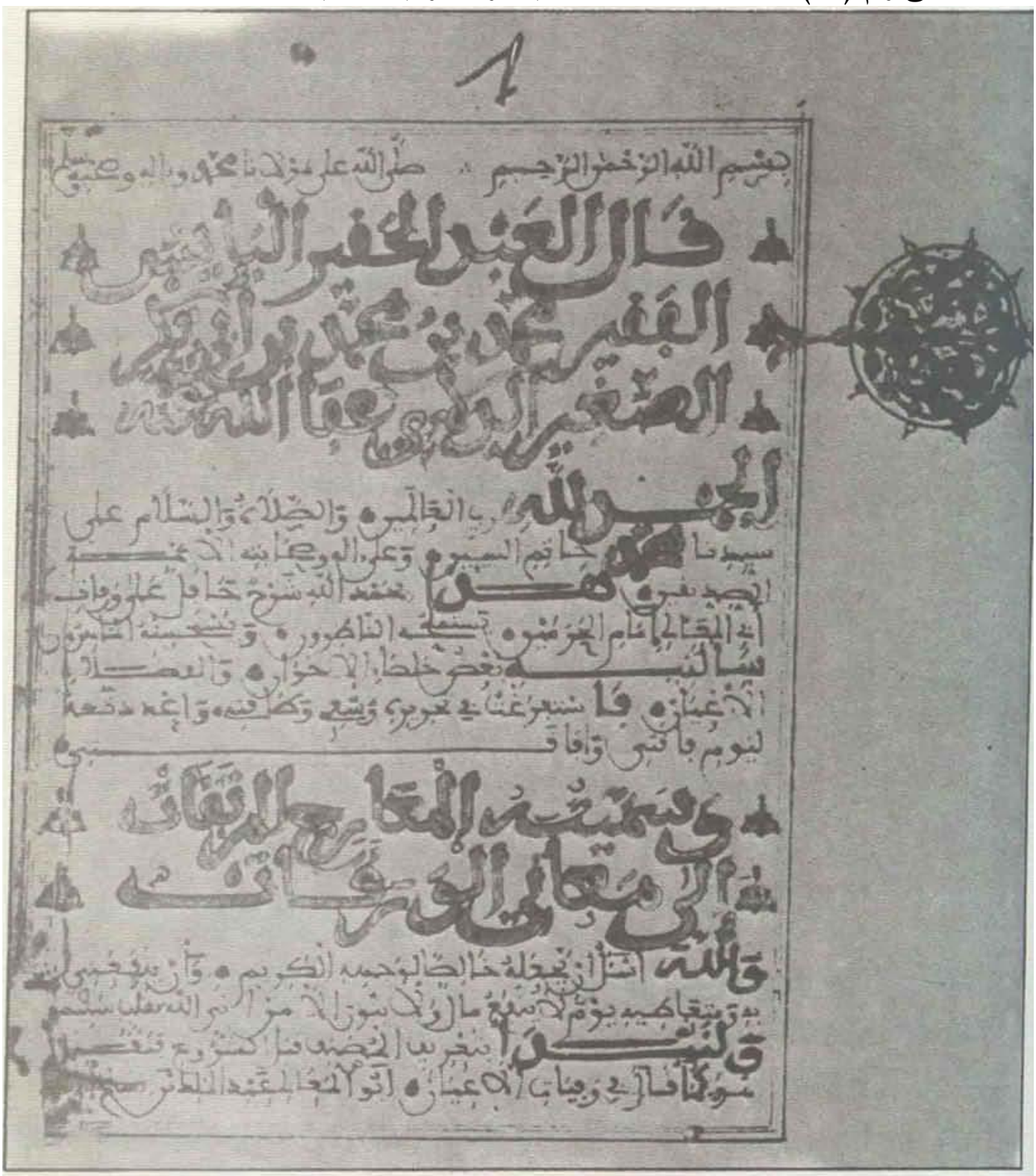

صفحة أولى من أحد كتب خزانة الزاوية الدلائية
وهو من تأليف محمد المرابط الدلائي

من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط

الملحق رقم (06):رسالة من حاكم سلا الى الاقاليم المتحدة هولندا بتاريخ 18 رجب1053

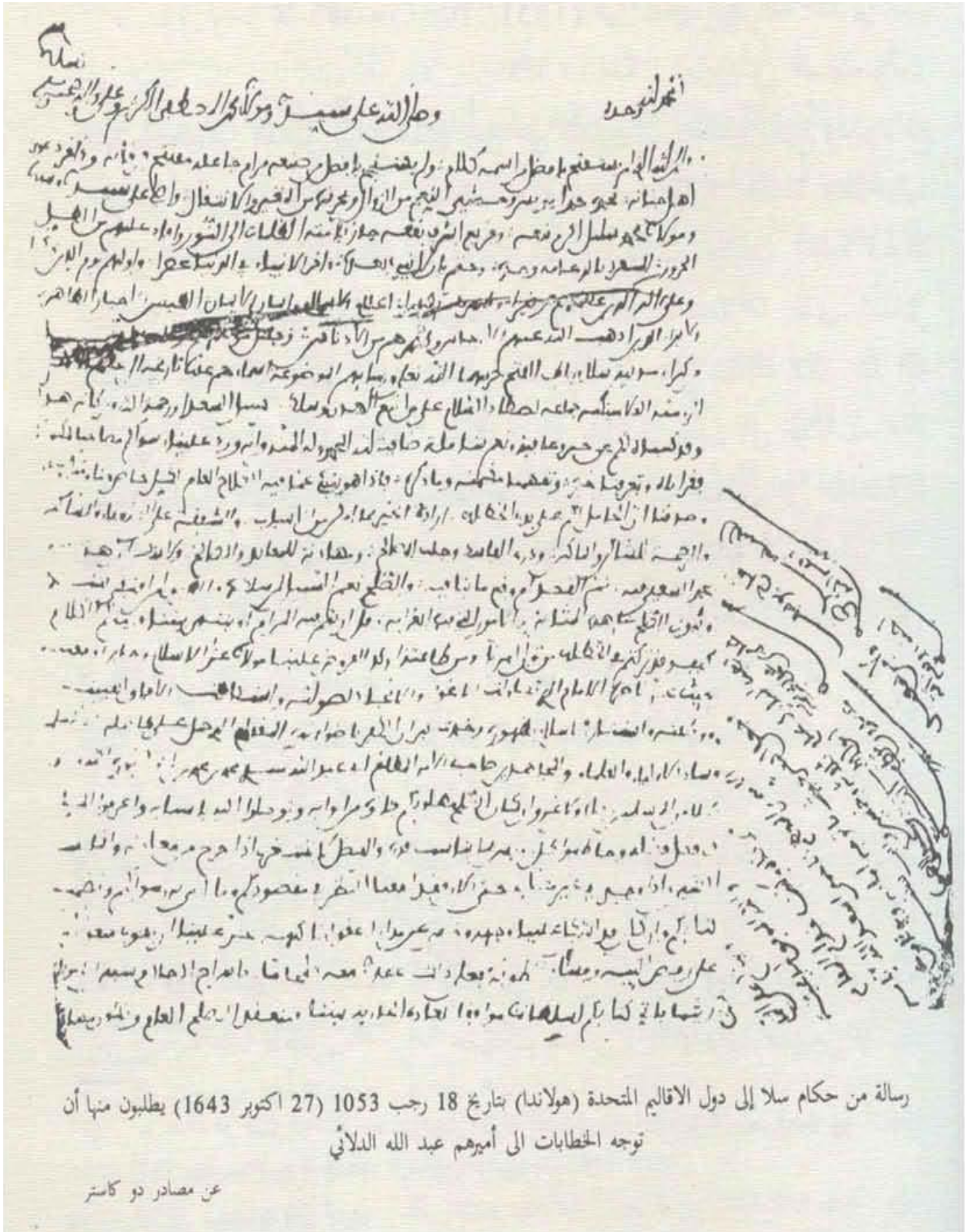

رسالة من حكام سلا إلى دول الاقاليم المتحدة (هولاندا) بتاريخ 18 رجب 1053 (27 اكتوبر 1643) يطلبون منها أن توجه الخطابات الى أميرهم عبد الله الدلائي

عن مصادر دو كاستر

الملحق رقم (07) : بقايا صومعة محمد ابي بكر في الزاوية الدلائية القديمة

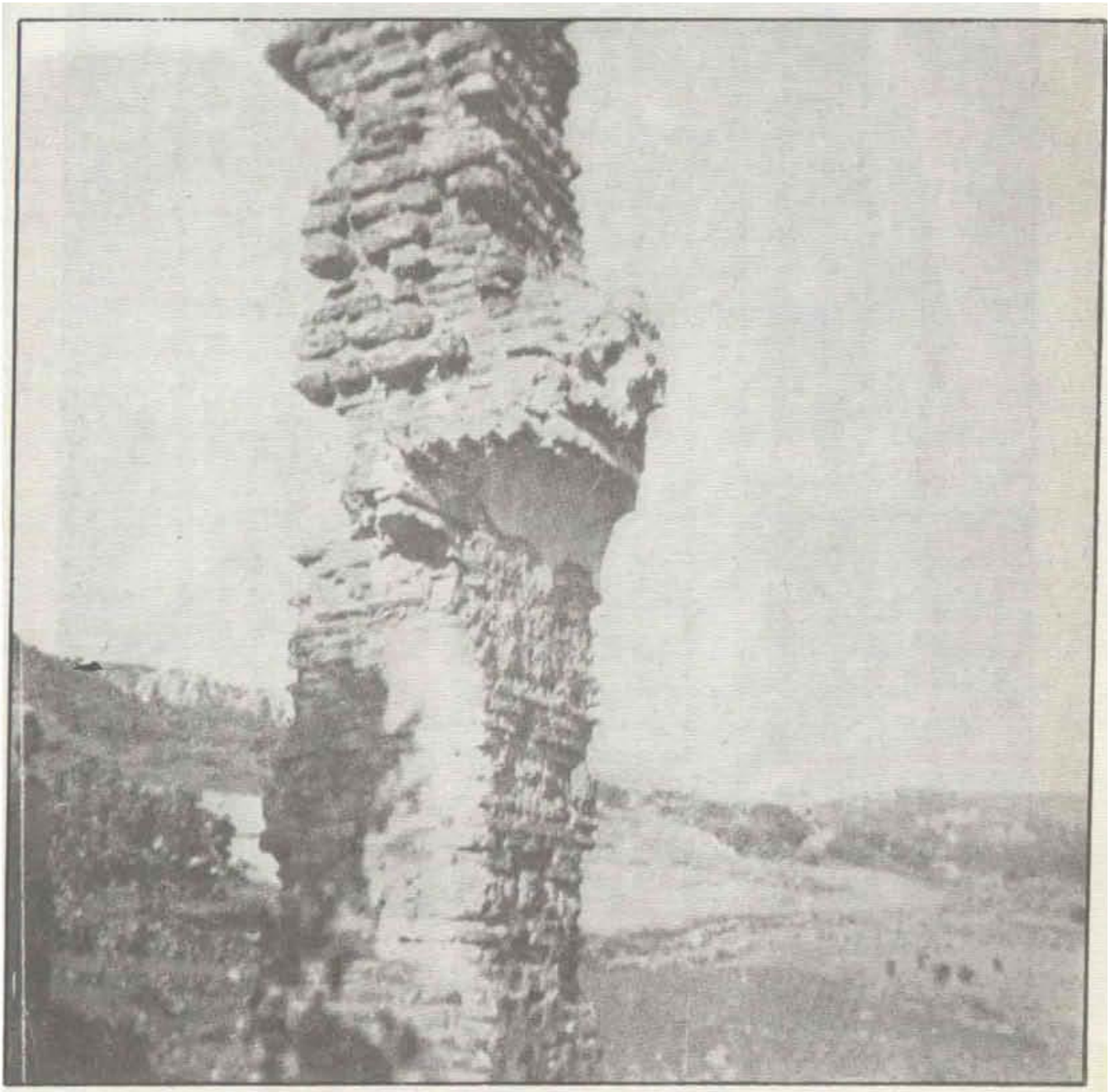

بقايا صومعة مجسد أبي بكر في الزاوية الدلائية القديمة

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن.

المصادر:

1- محمد الصغير بن الحاج الافراني: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، ترجمة: هوداس، باريس 1989م.

2- مجهول: تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تقديم وتحقيق: عبد الرحيم منجادة، ط1، دار تيحمل للطباعة، مراكش 1994م.

3- أبو فارس عبد العزيز الفشتالي: مناهل الصفا في مأثر مالينا الشرفاء، تحقيق: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة، الرباط (د.ت).

4- أحمد بن أحمد التلمساني المقري ، نفح من غصن الأندلس الطيب، ج3، دار صادر بيروت.

5- الناصري أبو عباس أحمد بن خالد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب، .1955

6- محمد بن الطيب القادري: نشر المثاني لأهل القرن 11 عشر الثاني، تحقيق: محمد حجي، ج.4

7- محمد بن قاسم الأنصاري: اختصار الأخبار عما كان بسبته من ستي الآثار، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط، .1983

8- محمد بن جعفر بن ادريس، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: محمد حمزة بن علي الكتابين ج2، سلسلة الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس، د.م،و،ت.

9- أبو العباس أحمد محمد المقري ، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد، الجزائر.

10-(ابو سالم عبدالله بن محمد)العياشي،الرحلة العياشية ،تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي ،ج1،ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع ،ابوظبي ،2006.

11- عبد الرحمان السعدي بن عبد الله بن عمران بن عامر، تاريخ السودان، مطبعة هوداس، المكتبة الأمريكية والشرق، باريس، 1981.

المراجع:

1- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ط1، الرساء الحديثة، ج2، الدار البيضاء المغرب 1978.

2- الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء 1986.

3- خير فارس محمد محمود علي عامر، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى ليبية) منشورات جامعة دمشق، .2000

4- مقلد الغنيمي عبد الفتاح ،موسوعة المغرب العربي، مجلد 3، ج5، 6، ط.1

5- شمس الدين نجم الدين زين العابدين، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان، .2011

6- محمد الزمزمي، الزاوية وما فيها من البدع والأعمال المنكرة، رقم الإيداع، 97، .1999

7- إخوان فاطمة الزهراء، مساهمة في التعريف بابن محلي من خلال وثيقة انجليزية معاصرة، متنوعات محمد حجي، ط1، دار العرب الإسلامي، بيروت، .1998

8- عبد المجيد الحملاوي، ابن أبي محلي ورحلته إلى صليت الفريت، ط1، منشورات عكافي، الرباط، .1997

9- عبد السلام بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت .1997

10- عبد اللطيف الشاذلي، الحركة العياشية، حلقة من تاريخ المغرب، القرن 17، ط.1

11- حركات إبراهيم: أحمد المنصور الذهبي، كرجل دولة، مجلة

12-محمد رزوق : العلاقات خلال القرن 16 خلال السعدي الأول مجلة المناهل، العدد 38، سنة 1989 ص .191

13- شوقي عطاء الله محمد العياشي وجهاده ضد الاسبان والبرتغال المناهل، الصادرة عن وزارة الدولة، عدد 9، المغرب 1977

14-محمد حجي: المغرب في عهد الدولة السعدية، في مجلة دعوة الحق، عدد 5، أوت سبتمبر 1980.

15-محمد العربي الزبيري: مدخل في تاريخ المغرب العربي الحديث، مطابع الجزائر 1975.

16- عبد الكريم كريم: المغرب في عهد الدولة السعدية، جامعة محمد 5، المغرب .1972

17- نصر الدين السعيدوني وبوعبدلي المهدي وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعي – الجزائر 1995 .

18- محمود شيت خطاب، قادة المغرب العربي، ج 2، ط7 دار الفكر للطباعة 1984

19- عبد الله كنون، البنوغ المغربي، بتطوان، المطبعة المهدية، بدون تاريخ

20-عبد السلام بن الطيب القادري، نزهة الفكر مناقب الشيخين سيدي محمد وسيدي أبي بكر

21- سليمان الحوات،البدور الضاوية، في التفريق عن سادة أهل الزاوية الدلائية مخطوط العام بالرباط

22-محمد المختار السوسي، خلال جزولة، المطبعة المهدية، تطوان بدون تاريخ

23- عبد العزيز الرياتي، الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال عمارة

24- عبد القادر املاق، الخبر عن ظهور العياشي، مخطوط الخزانة العامة بالرباط595 ج .

المقالات والدوريات العربية

- **مجلة دعوة الحق العربية:**

- محمد حجي: المغرب في الدولة السعدية، في مجلة دعوة الحق عدد 5، أوت سبتمبر 1980 م.

- محمد رزوق، العلاقات خلال القرن 16 خلال عهد السعدي الأول، مجلة المناهل، العدد 38، السنة 1989م.

- ابراهيم حركات: أحمد المنصور الذهبي كرجل دولة، مجلة دعوة الحق، عدد8،1978م.

- امينة اللوة، قضية العرائش، عدد 27.

-وثائق دي كاستري،الأراضي المنخفضة،ط3.

المصادر باللغة الأجنبية:

1- Boutaleb Brahim de autre – Histoire Maroc – Paris – Hatier – 1967.

2- Mercien (Ernest): Histoire de l'Afrique Septen trionale، temps les recules jusqu'à la conquete Française ،Paris ،1868.

3- L'établissement des dimasties des cheifs au Maroc et leur rivalite avec les turcs de la régence d'Alger – Ed leroux – 1904